جامعة النَّجاح الوطنيَّة
كليَّة الدّراسات العليا

دَور العقيدة الإسلاميّة في بناء الشّخصيّة في ضوء سورة النّمل

إعداد
خديجة ريماوي

إشراف
د. عامر جود الله

قدّمت هذه الرّسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدّين (عام) بكليّة الدّراسات العليا في جامعة النّجاح الوطنيّة في نابلس، فلسطين.
2022م

دَور العقيدة الإسلاميّة في بناء الشّخصيّة في ضوء سورة النّمل

إعداد

خديجة ريماوي

نوقشت هذه الرّسالة بتاريخ 2022/11/03م، وأجيزت:

د. عامر جود الله	
المشرف الرّئيسيّ	**التّوقيع**
د. محمد الدّيك	
الممتحن الخارجيّ	**التّوقيع**
أ. د. عودة عبد الله	
الممتحن الدّاخليّ	**التّوقيع**

الإهْدَاء

إلى والديّ الحبيبين اللذين ما فتئا يُشعلان جذوة الهمّة، ويزرعان بذور العقيدة في قلبي حتّى أثمرَت

إلى مصابيح الدُّجى، وشُهُب العُلا إخوتي أشقّاء روحي

إلى كل مَن يحمل همّ هدهد سيّدنا سليمان، عليه السّلام، وحرصه في تبليغ دعوة الحقّ

أُهدي هذا البحث

الشّكر والتّقدير

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيّبًا متواليًا وإن كان يتضاءلُ دون حقِّ جلاله حمد الحامدين، الحمد لله حمدًا يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، الحمد لله لا أُحصي ثناءً عليه.

ثمّ الشّكر الجزيل:

إلى منارَة الهدى والعلياء مشرفي الفاضل الدّكتور عامر جود الله على جهده القيّم في إخراج هذا البحث إلى حيّز الوجود، دُمتَ بحرًا ننهلُ من علمه، وأخلاقه.

لأهلي، وصحبي، ولكل من علّمني حرفًا أسدُّ به ثغرة من ثغور الإسلام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل عنوان:

دَور العقيدة الإسلاميّة في بناء الشّخصيّة في ضوء سورة النّمل

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

اسم الطالب: **خديجة ريماوي**

التوقيع:

التاريخ: **2022/11/03**

فهرس المحتويات

الإهْدَاء ..... ج
الشّكر والتّقدير ..... د
الإقرار ..... هـ
فهرس المحتويات ..... و
الملخص ..... ح
مقدِّمة 1
الفصل الأوّل: مدْخل إلى التّعريف بسورة النّمل، والعقيدة الإسلاميّة، ومفهوم بناء الشّخصيّة 6
المبحث الأوّل: تعريف العقيدة الإسلاميّة، ومفهوم بناء الشّخصيّة 6
المطلب الأوّل: تعريف العقيدة الإسلاميّة لغة واصطلاحا 6
المطلب الثّاني: تعريف بناء الشّخصيّة، ودور العقيدة الإسلاميّة في بنائها 9
المبحث الثّاني: التّعريف بسورة النّمل، وأهم المواضيع العقديَّة فيها 14
المطلب الأوّل: تعريف عام بسورة النّمل 14
المطلب الثّاني: أهم المواضيع العقديّة في سورة النّمل 17
الفصل الثّاني: دور العقيدة الإسلاميّة في بناء الجانب العقليّ، والعاطفيّ في الشّخصيّة في ضوء سورة النّمل 35
المبحث الأوّل: دور العقيدة الإسلاميّة في بناء الجانب العقليّ في الشّخصيّة 35
المطلب الأوّل: أهميّة دور العقيدة الإسلاميّة في بناء الجانب العقليّ في الشّخصيّة 35
المطلب الثّاني: دور الإيمان بصفة قدرة الله تعالى المطلقة في بناء الإيمان العقليّ اليقينيّ في الشّخصيّة 42
المطلب الثّالث: دور الإيمان بالغيب، والتفكّر في مصائر الأمم الغابرة في بناء الشّخصيّة الصّابرة الواثقة بنصر الله 47
المبحث الثّاني: دور العقيدة الإسلاميّة في بناء الجانب العاطفيّ في الشّخصيّة 49
المطلب الأوّل: أهميّة بناء الجانب العاطفيّ في الشّخصيّة 49
المطلب الثّاني: دور عقيدة التّوحيد في تحقيق خُلُق الشّكر لله تعالى 53
المطلب الثّالث: دور عقيدة التّوحيد في تحقيق العبوديّة لله وحده 58
المطلب الرّابع: دور عقيدة التّوحيد في تحقيق خُلُق الطمأنينة، والثّقة بالله تعالى 62
الفصل الثّالث: دور العقيدة الإسلاميّة في بناء الشّخصيّة الإيجابيّة والمتوازنة في ضوء سورة النّمل 67
المبحث الأوّل: الرّبط بين قضايا العقيدة الإسلاميّة والعمل، ودورها في بناء الشّخصيّة الإيجابيّة 67
المطلب الأوّل: العلاقة بين العقيدة الإسلاميّة، والعمل الصّالح 68
المطلب الثّاني: دور العقيدة الإسلاميّة في بناء الشّخصيّة الفاعلة من خلال الحثّ على العمل 69

المبحث الثّاني: دور العقيدة الإسلاميّة في بناء الشّخصيّة الإيجابيّة من خلال شخصيتيّ سليمان عليه السّلام، وملكة سبأ 77
المطلب الأوّل: دور صفة العلم بالله في بناء الشّخصيّة الإيجابيّة الشّاكرة لله، والمتواضعة من خلال شخصيّة سليمان عليه السّلام 77
المطلب الثّاني: دور إيمان ملكة سبأ في بناء الشّخصيّة الإيجابيّة الحكيمة 85
المبحث الثّالث: دور العقيدة الإسلاميّة في بناء الشّخصيّة الإيجابيّة من خلال شخصيتيّ الهدهد، والنّملة 87
المطلب الأوّل: دور عقيدة التّوحيد في بناء الشّخصيّة الإيجابيّة المسؤولة من خلال شخصيّة الهدهد ... 87
المطلب الثّاني: دور صفة المسؤوليّة والحرص على المصلحة العامّة في بناء الشّخصيّة الإيجابيّة من خلال شخصيّة النّملة 89
المبحث الرّابع: دور العقيدة الإسلاميّة في بناء الشّخصيّة الإيجابيّة من خلال قصتيّ صالح، ولوط عليهما السّلام 92
المطلب الأوّل: دور صفة العلم والإيمان بالغيب في بناء الشّخصيّة الإيجابيّة الصابرة الرحيمة من خلال قصّة سيّدنا صالح عليه السّلام 92
المطلب الثّاني: دور صفة العبوديّة والعلم بالله في بناء الشّخصيّة الإيجابيّة من خلال قصة سيّدنا لوط عليه السّلام 94
المبحث الخامس: دور العقيدة الإسلاميّة في بناء الشّخصيّة المتوازنة..... 95
المطلب الأوّل: التّعريف بعقيدة الإيمان اليوم الآخر وأهميّته 95
المطلب الثّاني: دور عقيدة الإيمان باليوم الآخر في بناء الشّخصيّة المتوازنة بين الدّنيا والآخرة 97
الخاتمة 100
قائمة المصادر والمراجع 101
Abstract ..... B

دَور العقيدة الإسلاميّة في بناء الشّخصيّة في ضوء سورة النّمل

إعداد

خديجة ريماوي

إشراف

د. عامر جود الله

الملخص

تتناول هذه الدّراسة: دور العقيدة الإسلاميّة في بناء الشّخصيّة في ضوء سورة النّمل.

وقد اشتملت هذه الدّراسة على ثلاثة فصول، الفصل الأوّل تناولت فيه الباحثة: مدخل إلى التّعريف بسورة النّمل في ضوء العقيدة الإسلاميّة، والفصل الثّاني تناول: دور العقيدة الإسلاميّة في بناء الجانب العقليّ، والعاطفيّ في الشّخصيّة في ضوء سورة النّمل، والفصل الثّالث تناول: دور العقيدة الإيجابيّة، والمتوازنة في بناء الشّخصيّة في ضوء سورة النّمل.

وقد اتّبعت الباحثة في هذا البحث المنهجين: الاستقرائيّ، والتّحليلي؛ وذلك من خلال تتبُّع معالم المنهج العقديّ في بناء الشّخصيّة في ضوء سورة النّمل، ثُمّ تناول ذلك بالتّحليل، والتّفسير، والرّبط بالواقع.

ومن أهم النّتائج الّتي توصَّلت إليها الباحثة: للعقيدة الإسلاميّة دور في بناء الجانب العقليّ الإيماني في الشّخصيّة من خلال الحثّ على التفكّر في مظاهر قُدرة الله تعالى، وتوحيده، ومن خلال التّفكر بمصير المكذبين. وللعقيدة الإسلاميّة دور في بناء الجانب العاطفيّ "القلبيّ" في الشّخصيّة من خلال تحقيق العبوديّة لله سبحانه، وتعالى وحده، وتحقيق خُلُق الشّكر، والطّمأنينة، والثّقة بالله تعالى. وللعقيدة الإسلاميّة دور في بناء الشّخصيّة الإيجابيّة، والمتوازنة من خلال قصص الأنبياء عليهم السّلام، والحثّ على العمل، ومن خلال عقيدة الإيمان باليوم الآخر.

الكلمات المفتاحية: العقيدة، الشخصية، الجانب العقلي، الجانب الروحي. الإيجابية.

مقدِّمة

الحمد لله الّذي هدانا بالذِّكر الحكيم، والبلاغ المبين، والحمد لله الّذي جعل القرآن شفاءً، ورحمةً للمؤمنين، والصّلاة والسّلام على خاتم النّبيّين، وأشرف المرسلين سيّدنا محمّد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد:

تُعدُّ العقيدة الإسلاميّة الصّحيحة منهجًا عمليًّا جادًّا تُبنى من خلاله النّفوس، والعقول، لا منهجًا نظريًّا فلسفيًّا محلّه بطون الكتب.

وهي أساس الدِّين؛ فجميع العبادات، وأعمال الخير، ومكارم الأخلاق، إذا لم تكن نابعة عن عقيدة سليمة، واعتقاد القلب بعبوديّة الله سبحانه، وتعالى وحده لا شريك له، فلا قيمة لها. وتُعدُّ أيضًا المقوّم الرّئيس المُحقّق للصّلاح، والإصلاح.

وقد استطاع النّبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، إخراج الصّحابة من ظلام الجاهليّة، وضلالها، إلى نور الإسلام، وهداه، ومن هامش التّأثر إلى متن التّأثير؛ وذلك بتسخير حياته في زرع العقيدة في نفوسهم، فقد جاءت الآيات المكّيّة الّتي علّمها لهم لتعالج قضايا العقيدة الأساسيّة؛ حتّى إذا ما تعمّقت جذورها فيهم، وأدركوا معانيها، وأهميّتها، ودورها في بناء شخصيّاتهم، ظهرت ثمرات الإيمان بها على جوارحهم؛ فيُطبّق كل فرد منهم الإسلام بالتزام أوامره، واجتناب نواهيه، فيضبط سلوكه، ويستشعر رقابة الله له في كل أموره، وتصبح عباداته ذات روح، وليست مجرد عادات، وحركات يقوم بها.

وبهذا نشأ جيل قرآنيّ فريد، صاحب هدف، ورسالة في عباداته، ومعاملاته، فتح الدّنيا وقامت دولة الإسلام على أكتافه.

فينبغي على كل مسلم نذر نفسه، وحياته لخدمة هذا الدِّين، وأهله أن يكون راسخ العقيدة، وأن يسير على نهج النّبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، وصحابته؛ فبذلك يعود لنا عزّنا، ومجدنا الضّائع، وتتفجّر فينا طاقات

الخير، والبِرّ، والعطاء، فتصبح حياتنا عامرة بصلاحنا، وحافلة بإصلاحنا، وإنتاجنا المُثمر في حقل الدّعوة إلى الله.

أولاً: سبب اختيار الموضوع:

1. ضعف أثر العقيدة الإسلاميّة في الشّخصيّة عند كثير من المسلمين؛ الأمر الّذي دفعني لأتساءل عن أساس التّغيير الّذي غيّر به سيّدنا، وقائدنا محمّد، صلّى الله عليه وسلّم، جيلاً كاملاً؟

فكانت الإجابة: العقيدة الإسلاميّة.

فكما أنّ المحرّك للسّيّارة يدفعها إلى الأمام، فالعقيدة تبني الشّخصيّة، وتحرّك صاحبها، وترقّيه في مدارج العلا.

2. الانفصال الكبير بين المعتقد، والعمل عند كثير من المسلمين، ممّا يقتضي تسليط الضوء على منهج القرآن الكريم في الوصل بين المعتقد، والعمل، وكيفيّة إعادة الفاعليّة للعقيدة الإسلاميّة في الشّخصيّة الإسلاميّة.

من هنا، اختارت الباحثة سورة النّمل لمعالجة هذا الموضوع؛ لِما تميّزت به من بيان دور العقيدة الإسلاميّة في بناء الشّخصيّة، خاصّة من خلال الشّخصيّات المتنوّعة المذكورة في السّورة الكريمة.

ثانيًا: مُشكلة البحث:

يُحاول هذا البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ما أهم الحقائق العقديَّة في سورة النّمل؟
2. ما دور العقيدة الإسلاميّة في بناء الجانب العقليّ، والعاطفيّ في الشّخصيّة في ضوء سورة النّمل؟
3. ما دور العقيدة الإسلاميّة في بناء الشّخصيّة الإيجابيّة والمتوازنة في ضوء سورة النّمل؟

ثالثًا: أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. بيان أهم الحقائق العقديّة في سورة النّمل.
2. بيان دور العقيدة الإسلاميّة في بناء الجانب العقليّ، والعاطفيّ في الشّخصيّة في ضوء سورة النّمل.
3. بيان دور العقيدة الإسلاميّة في بناء الشّخصيّة الإيجابيّة، والمتوازنة في ضوء سورة النّمل.

رابعًا: منهجية البحث:

اتبعت الباحثة في هذا البحث المنهج: الاستقرائيّ، والتّحليليّ، والوصفيّ؛ وذلك من خلال تتبُّع معالم المنهج العقديّ، وأثره في بناء الشّخصيّة في ضوء سورة النّمل، ثُمّ تناول ذلك بالتّحليل، والتّفسير، والرّبط بالواقع.

خامسًا: الدّراسات السّابقة:

بعد البحث، والقراءة، وجدت بعض الدّراسات الّتي لها علاقة بموضوع الدّراسة، وهي:

1. "سورة النّمل دراسة تحليليّة، وموضوعيّة"، رسالة ماجستير: للباحث: حسن محمّد حسن البلبيسي، الجامعة الإسلاميّة، غزّة، سنة 2003م.

وقد اشتملت الدّراسة على مقدمة، وثلاثة فصول، تناول الباحث فيها التّعريف بالسّورة الكريمة، ثمّ تفسير السّورة تفسيرًا تحليليًّا، وبيان المواضيع الّتي تناولتها السّورة، دون التعرُّض للمنهج العقديّ في السّورة الكريمة، وأثره في بناء شخصيّة المسلم.

2. "دور العقيدة في بناء الشّخصيّة المسلمة في ضوء سورة يوسف"، رسالة ماجستير للباحثة: عطاف محمود محمد حتحت، الجامعة الإسلاميّة، غزّة، سنة 2009م.

وقد اختصت الدّراسة بسورة يوسف عليه السّلام، لكنّها لم تبيّن معالم المنهج العقدي في شخصيّة المسلم، وآثار ذلك عليها.

وقد اشتملت الدّراسة على مقدّمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، تناولت الباحثة فيها التّعريف بالسّورة الكريمة، وتعريف العقيدة، والإيمان، والبناء، والهدم، مع التّطرق لغايات، ووسائل البناء، والهدم، وتعريف الشّخصيّة المسلمة، وذكر معالمها، وعلاقتها بغيرها، ثمّ تناولت دور العقيدة في بناء شخصيّة سيّدنا يعقوب، وسيّدنا يوسف عليهما السّلام، ودور العقيدة في تحقيق النّصر، والتّمكين للأُمّة في ضوء سورة يوسف.

3. "العقيدة الإسلاميّة وأثرها في بناء المجتمع"، رسالة ماجستير للباحث: عزام سلهب، الجامعة الإسلاميّة، المدينة المنورة، سنة 1403هـ.

وقد اشتملت الدّراسة على مقدمة، وفصل تمهيديّ مقسم إلى أربعة مباحث، تناول الباحث فيها نبذة عن التّدين، وتاريخه، ونبذة عن حالة البشريّة المعاصرة، ومعنى العقيدة، والإيمان ومفهومه، والفرق بينه، وبين الإسلام. واشتملت أيضًا على بابين: الباب الأوّل، بيّن فيه أركان الإيمان وأثرها في النّفس، والمجتمع، والباب الثّاني، ذَكَرَ فيه خصائص العقيدة الإسلاميّة.

4. "الصلة بالله تعالى، وأثرها في تربية النّفس"، رسالة ماجستير للباحث: تيسير العلي، جامعة اليرموك، إربد، سنة 1987م.

وقد اشتملت الدّراسة على مقدمة، وثلاثة فصول، تناول فيها حقيقة ومرتكزات الصلة بالله تعالى، وأثر الصلة فيه سبحانه في تربية النّفس.

5. العقيدة وأثرها في بناء الجيل"، للدكتور: عبد الله عزام.

حيث تناول الكتاب بعض القضايا المتعلقة بالعقيدة الإسلاميّة، ومنها أثر العقيدة عمومًا في بناء الجيل المسلم.

6. "أصول العقيدة في ضوء سورة النّمل"، رسالة ماجستير للباحث: مخلد بن عقل المطيري، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، السّعودية، سنة 1989م.

وقد اشتملت الدّراسة على تمهيد، وأربعة أبواب، وخاتمة، تناول الباحث فيها التّعريف بسورة النّمل وبيان التّوحيد من خلالها، وتقرير السّورة للإيمان بالرّسل، وعقيدة اليوم الآخر، ودراسة مقارنة لبعض مسائل العقيدة الواردة في السّورة بين تفاسير أهل السّنّة، والجماعة.

الفصل الأوّل

مدْخل إلى التّعريف بسورة النّمل، والعقيدة الإسلاميّة، ومفهوم بناء الشّخصيّة

للعقيدة الإسلاميّة دور كبير، ومؤثر في بناء الشّخصيّة، ومن السّور القرآنية الّتي اعتنت بموضوع العقيدة، ودورها في بناء الشّخصيّة بشكل موسَّع: سورة النّمل.

وقبل البدء في بيان ذلك الدّور، لا بُدّ من التّطرق إلى معنى العقيدة في اللغة، والاصطلاح، ومفهوم بناء الشّخصيّة، وبيان أهم المواضيع العقديَّة في سورة النّمل، وهذا ما سأبيّنه من خلال المبحثين الآتيين.

المبحث الأوّل: تعريف العقيدة الإسلاميّة، ومفهوم بناء الشّخصيّة

المطلب الأوّل: تعريف العقيدة الإسلاميّة لغة واصطلاحا

أولاً: تعريف العقيدة لغة

تفيدنا معطيات اللغة أنَّ العقيدة مصدر من الفعل الثلاثي عَقَدَ، وقد بيّن ابن فارس أنَّها أصل واحد يدل على شدٍّ، وشدّةِ وُثوق.[1]

وقال الرّاغب في مفرداته: "العَقْدُ: الجمع بين أطراف الشّيء، ويستعمل ذلك في الأجسام الصّلبة كعقد الحبل، وعقد البناء، ثمّ يُستعار ذلك للمعاني نحو: عَقْدِ البيع، والعهد، وغيرهما".[2]

وبيّن ابن منظور أنّ العَقْد: نَقِيضُ الحَلِّ، وعُقْدَةُ كُلِّ شَيْءٍ: إِبْرَامُهُ، وعُقْدَةُ النِّكَاحِ والعقدة في البيع: وُجُوبهما، وعَقَدَ قَلْبه عَلَى الشَّيْءِ: لَزِمَه. وَفِي حَدِيث: "الخيلُ مَعقودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخيْر[3]"، أَي: مُلازِمٌ لَهَا

---

[1] انظر: ابن فارس، أحمد الرازي، (ت: 395هـ): معجم مقاييس اللغة. 6 مج. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر 1399هـ، (86/4).

[2] الأصفهاني، الراغب، (ت: 502هـ): المفردات في غريب القرآن. 1مج. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. ط1. دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية 1412هـ، (ص:576).

[3] البخاري، محمد بن إسماعيل، (ت: 256هـ): الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ، كتاب الجهاد والسير، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، حديث رقم: 2850، (208/4).

كأَنّه مَعْقُودٌ فِيهَا. والْمُعَاقَدَةُ: الْمُعَاهَدَةُ. والعَقْد: الْعَهْدُ، وَالْجَمْعُ عُقود، وَهِيَ أَوكد العُهود. ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ١﴾[المائدة: 1]..[1]

يظهر ممّا سبق أنّ المعنى اللغوي لكلمة العقيدة يدور حول: الرَّبط بشدَّة، وإحكام، سواء للأمور الماديّة، أو المعنويّة، فالعقد هو: ضمّ شيء إلى شيء، وربطه بقوّة، وإحكام، كعقد البيع مثلاً، فهو اتفاق مُلزِم يربط بين طرفين هما: البائع، والمشتري.

ثانيًا: تعريف العقيدة اصطلاحًا

تنوّعت عبارات العلماء في تعريف العقيدة عمومًا، منها:

تعريف الجرجاني للعقائد بأنّها: "ما يُقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل".[2]

وعرّف المناوي الاعتقاد بقوله: "عقد القلب على الشّيء، وإثباته في نفسه".[3]

وقال عبد الرّحمن حسن حبنكة الميداني: "متى بلغ شعورنا بالشّيء إلى حدٍّ أصبح يحرّك عواطفنا، ويوّجه سلوكنا حمَل اسم عقيدة".[4] وبناءً عليه نستنتج أنّ: العقيدة الإسلاميّة هي بلوغ الشّعور بأركان الإيمان إلى حدٍّ يجعلها محرِّكة لعواطفنا، ومقوِّمة لسلوكنا.

وأشار الميداني إلى أنّ العقيدة الإسلاميّة ترتكز على أصول ستة بناءً على الأدلة الشّرعيّة، هي: الاعتقاد بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره. وهذا الطّرف الاعتقاديّ المبني على أُسس منطقيّة صحيحة، وطرق يقينيّة ثابتة، هو ما يسمّى في الاصطلاح الإسلاميّ: بالإيمان. ثمّ بيّنَ أنّ

---

[1] انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، (ت: 711هـ): لسان العرب. 15مج. ط3. بيروت: دار صادر 1414هـ، (3/296-298).

[2] الجرجاني، علي بن محمد، (ت: 816هـ): التّعريفات. 1مج. تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية 1403هـ، (ص:152).

[3] المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين، (ت: 1031هـ): التّوقيف على مهمات التّعاريف.1مج. ط1. القاهرة: عالم الكتب 1410هـ، (ص:55).

[4] الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، (ت: 1425هـ): العقيدة الإسلاميّة وأسسها. 1مج. ط14. دمشق: دار القلم 1430هـ، (ص:31).

عقيدة الإسلام لا تقبل التّجزئة والتّقسيم، فلا يكون الإنسان مسلمًا إلاّ إذا اعتقد بها كلّها، ومن آمن ببعضها، وكفر ببعضها لم يكن عارفًا بالله، ولا مؤمنًا به. فعقيدة الإسلام بدأت من الإيمان بالله الّذي يستلزم الإيمان بكمال صفاته، وذلك يستلزم تصديقه في ملائكته، وكتبه، ورسله، وأخبار الغيوب الّتي يخبر بها، فمن أنكر شيئًا من ذلك فقد أنكر كمال صفات الله.[1]

وعرّف حسن البنا العقائد بأنّها: "الأمور الّتي يجب أن يُصدِّق بها قلبك، وتطمئن إليها نفسك، وتكون يقينًا عندك، لا يمازجه ريب، ولا يخالطه شك".[2]

بناءً على ما سبق أستطيع القول: إنّ العقائد هي الأمور الّتي يَدين بها الإنسان، ويعقد قلبه عليها عقدًا جازمًا مُحكمًا لا يتطرّق إليه شك. وأنّ هناك ترابطًا ظاهرًا بين المعنى اللّغويّ، والاصطلاحيّ للعقيدة، فعقد القلب على الشّيء، والتّصديق الجازم به يدل على شِدّة إحكامه، وشِدّة الالتزام به.

والعقيدة الإسلاميّة هي ربط مُحكَم لقضايا إيمانيّة غيبيّة بالقلب، وعلى رأسها الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وتوحيده، ولا شكّ أنَّ ربط القلوب بالعقيدة الصّحيحة له أثره على النّفس، فالعقيدة الإسلاميّة تُقنع العقل، وتطمئنه، وتهزّ القلب، وتحرّكه؛ فتستجيب بذلك الجوارح، وتندفع للعمل الصّالح. فتتمثّل العقيدة الثّابتة في الباطن بصورتها الخارجيّة في سلوك المؤمن، وأخلاقه، وأعماله، ومعاملاته، والتزامه بالشّريعة الإسلاميّة.

فالعقيدة الإسلاميّة إذًا بذرتها المباركة في قلب المؤمن، وإذا أراد بها صاحبها حياة، وقوّة، وثمرًا قام على حراستها –بحيث لا تزعزعها الفتن، ولا تضعفها الأهواء، ولا تقتلعها الشّياطين–، وتعاهدها، وتغذيتها؛ لتطلق أغصانها وفروعها في كيانه، وحواسه، وجوارحه، ولتُنتج ثمارها اليانعة، ألا وهي: أعماله، وأقواله، وخطواته.

---

[1] انظر: الميداني، العقيدة الإسلاميّة وأسسها. (68+72–73).

[2] البنا، حسن، (ت: 1368هـ): العقائد. تحقيق: رضوان محمد رضوان. الإسكندرية: دار الدعوة، (ص:7).

وممّا يعينه على تعاهدها استعمال وسيلة التّفكّر، والتّدبر الّتي حثّنا عليها القرآن الكريم في غير موضع. فالتّفكر كفيل بأن يقود الإنسان إلى الحقيقة، وجوهره في القرآن قلبيًا، لِما ينتج عنه من شعور قلبيّ: كالخوف مثلا، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾[آل عمران: 191].

وهكذا تكون العقيدة الإسلاميّة، ليست فقط قضايا غيبيّة مجرّدة في القلب، بل هي قضايا غيبيّة، وعمليّة. فالعقيدة هي روح كلّ عمل، وأيّ عمل دون اعتقاد كالثّمرة الرّديئة.

المطلب الثّاني: تعريف بناء الشّخصيّة، ودور العقيدة الإسلاميّة في بنائها

أولا: تعريف البناء

قال ابن فارس: "بَنَيَ: الْبَاءُ وَالنُّونُ وَالْيَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ بِنَاءُ الشَّيْءِ بِضَمِّ بَعْضِهِ إِلَى بَعْضٍ"[1]، وقال الفيروزآبادي: "البَنْيُ: نقيضُ الهَدْمِ"[2]، وعرّف أبو البقاء الْبناء لُغَة بأنّه: "وضع شَيْء على شَيْء على صفة يُرَاد بهَا الثُّبُوت"[3]، وجاء في تعريف البناء بأنّه: العمل، والعطاء، والمثابرة، والتّحسين، والتّشييد، والعلو، وتربية النفس على القيام بأعمال تقرب إلى الله مع ترك الأعمال الّتي يخاف من تأثيرها السّلبي على النّفس والدِّين.[4]

من خلال ما تقدّم يتبيّن لنا أنّ معنى البناء يقوم على ضمِّ شيءٍ إلى شيء سواء كان ماديًّا، أم معنويًّا.

---

[1] ابن فارس: مقاييس اللغة. (302/1).

[2] الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، (ت: 817هـ): القاموس المحيط. 1مج. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. ط8. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع 1426هـ، (ص:1264).

[3] أبو البقاء، أيوب بن موسى، (ت: 1094هـ): الكليات. 1مج. تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة، (ص:241).

[4] انظر: حتحت، عطاف محمود محمد: دور العقيدة في بناء الشّخصيّة المسلمة في سورة يوسف. (رسالة ماجستير منشورة). الجامعة الإسلامية. غزة. فلسطين 1430هـ، (ص:19).

ثانيًا: تعريف الشّخصيّة

قال ابن فارس: "(شَخَصَ) الشِّينُ وَالْخَاءُ وَالصَّادُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى ارْتِفَاعٍ فِي شَيْءٍ"[1]، وقال الرّاغب: "الشَّخْصُ: سواد الإنسان القائم المرئيّ من بعيد"[2]، وبيّن الأزدي: الشّخوص بأنّها: جمع شخص، وهي: ضد الهبوط[3]، وبيّن ابن منظور الشَّخْص بأنّه: كلُّ جِسْمٍ لَهُ ارْتِفَاعٌ وَظُهُورٌ، والمرادُ بِهِ إِثباتُ الذَّاتِ فاسْتُعير لَهَا لفظُ الشَّخْصِ. والشَّخِيصُ هو: الشَّخْصِ العظيم[4]، وجاء في المعجم الوسيط تعريف الشّخصيّة بأنّها: صِفَات تميّز الشَّخْص من غَيره.[5]

والشّخصيّة هي المجموع الكلي لاستعدادات الفرد العضويّة الدّاخليّة، وشهواته، ونزعاته، وميوله، وغرائزه الّتي تحدد ما يمتاز بها من سلوك وأفكار.[6]

وعرّفها يوسف مراد أنّها: "الصّورة المنظّمة المتكاملة لسلوك فرد ما يشعر بتميّزه من الغير".[7]

من خلال ما تقدّم يتبيّن لنا أنّ معنى الشّخصيّة يدور حول الصّفات المعنويّة الّتي تمثّل كلّ شخص وتميّزه من غيره.

ثالثًا: تعريف بناء الشّخصيّة

من خلال التّعريفات السابقة لمصطلحيّ البناء، والشّخصيّة يمكن القول: إنّ المقصود ببناء الشّخصيّة هو بناء فكر الإنسان ومعتقداته، وتهذيب سلوكيات الفرد –بالتّأسيس، والتّطوير، والإحسان، والعمل–، بحيث يصبح صالحًا في نفسه، ومُصلحًا لغيره.

---

[1] ابن فارس: مقاييس اللغة. (254/3).

[2] الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. (ص:447).

[3] انظر: الأزدي، محمد بن الحسن، (ت: 321هـ): جمهرة اللغة. 3مج. تحقيق: رمزي منير بعلبكي. ط1. بيروت: دار العلم للملايين 1407هـ، (601/1).

[4] انظر: ابن منظور: لسان العرب. (45/7).

[5] انظر: مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، 2مج. دار الدعوة، (475/1).

[6] انظر: الزغلول، عماد والهنداوي، علي: مدخل إلى علم النّفس. تحقيق: أبو هلال، ماهر والمغيربي، فدوى. ط8. الإمارات: دار الكتاب الجامعي 1435هـ، (ص:386).

[7] مراد، يوسف: مبادئ علم النّفس العام. ط1. مصر: دار المعارف 1948م، (ص:339).

رابعًا: أساليب بناء الشّخصيّة

من خلال النّظر في القرآن الكريم تبيّن أنّ هناك عدّة أساليب لبناء الشّخصيّة، وحمايتها من الانحراف، ومن أهمّها:

1. أسلوب الحوار، وضرب الأمثال.
2. أسلوب تدبّر القرآن.
3. أسلوب ضرب القدوة بالأنبياء –عليهم السّلام–، والصّالحين من خلال القصص.
4. أسلوب ربط العقيدة بالعمل.
5. أسلوب التّرغيب، والتّرهيب.

خامسا: دور العقيدة الإسلاميّة في بناء الشّخصيّة

للعقيدة الإسلاميّة تأثير عميق، وجَلي في بناء الشّخصيّة، ورقي الحضارة. قال فريد الأنصاري: "إنّ عقيدة الإسلام لم تكن في القرآن الكريم، ولا في السّنّة النّبويّة إلا لمسة تربويّة ذات أثر روحيّ عميق على الوجدان، والسّلوك، وقد كان المسلمون عندما يتلقونها بعباراتها القرآنيّة الجليلة، يتفاعلون معها تفاعلا عجيبا! إذ يتحوّلون بسرعة، وبعمق كبير من بشر عاديين مرتبطين بعلائق التّراب، إلى خلائق سماويّة تنافس الملائكة في السّماء! وما هم إلاّ بشر يأكلون الطّعام ويمشون في الأسواق! ولذلك حقّق الله بهم المعجزات في الحضارة، والتّاريخ!".[1]

وقد بيّن القرضاوي أنّ الإسلام عقيدة جوهرها التّوحيد، فمن ضيّع التّوحيد في العقيدة؛ فقد ضيّع جوهر الإسلام، وإن تمسّك بظواهر الأشكال.[2]

[1] الأنصاري، فريد، (ت: 1430هـ): جمالية الدين معارج القلب إلى حياة الروح. ط5. مصر: دار السلام 1436هـ، (ص:63).
[2] انظر: القرضاوي، يوسف: الصحوة الإسلاميّة من المراهقة إلى الرشد. مصر: دار الشروق، (ص:15).

وقال: "البرهان على صدق الإيمان: إسلام الوجه لله مع إحسان العمل".[1]

وإنّ الحياة دون حقائق الإيمان لغز لا يمكن فهمه، فالعقيدة تفسِّر للإنسان سرّ الحياة وتُجيب له عن أسئلة الوجود الكبرى. وتبرز أهمّيتها من كونها عماد الإسلام، وأساسه المَكين الّذي ترتكز عليه فروع هذا الدّين كلّه، فمن العبث محاولة إشادة بناء ضخم بلا أساس!.[2]

وسأبيّن من خلال النّقاط الآتية دور العقيدة الإسلاميّة في بناء الشّخصيّة:

أولا: ضبط القدرات، والملكات الإنسانيّة: جهّز الله سبحانه وتعالى الشّخصيّة الإنسانيّة، وكرّمها بمجموعة من الملكات والصّفات، وهي سلاح ذو حدّين إمّا أن يستخدمها في عمارة الأرض، أو في الدّمار والفساد.[3] والعقيدة الإسلاميّة هي الضّابط الأمين لذلك، فهي الّتي توجّه السّلوك البشريّ، وتحكم كلّ ما يصدر عن النّفس الإنسانيّة من أقوال، وأفعال، وهواجس، وخلجات، فهي دماغ التّصرفات، بحيث إذا تعطل جزء منها أَحدَثَ انحرافًا كبيرًا في السّلوك، وانفراجًا هائلاً عن سويّ الصّراط. فإذا سلك الإنسان المنهج الربّاني القيّم الّذي رسمه الله تعالى للخلق، وذلك بترسيخ العقيدة أوّلاً في الأعماق، ثمّ القيام بكل أوامر الشّريعة، حينها لا بدّ أن يصبح الإنسان قرآنًا يمشي على الأرض. فيجب الحرص على زرع البذرة في التّربة، ثمّ تعهدها حتّى تستوي قائمة على أصولها، وتمتدّ بفروعها، وأفنانها.[4]

ثانيًا: العقيدة الإسلاميّة ضرورة للحياة الإنسانيّة: ضرورة لاطمئنان الفرد، ورُقيّه، وسعادته، فهي ضياء ثاقب ينفد إلى فكر، وعاطفة، وإرادة المرء فيُجري في كيانه عصارة الحياة، وينشئه من جديد، ويحوّله من مخلوق ذي شخصيّة تافهة إلى إنسان صاحب رسالة، وهدف. فإذا طمح الإنسان للإصلاح الجذريّ في حياته، عليه أن يُسبق ذلك بتغيير نفسيّ، وهذا لا يكون إلاّ بتصميم، ولا تصميم بغير إيمان.[5]

---

[1] المرجع السّابق. (ص:19).

[2] انظر: القرضاوي، يوسف: الإيمان والحياة. 1مج. ط4. بيروت: مؤسسة الرسالة 1399هـ، ص:24. وانظر: البوطي، محمد سعيد رمضان، (ت: 1434هـ): كبرى اليقينيات الكونية. 1مج. ط40. دمشق: دار الفكر 1439هـ، (ص:70).

[3] انظر: البوطي، كبرى اليقينيات الكونية. (ص:65).

[4] انظر: عزام، عبد الله، (ت: 1410هـ): العقيدة وأثرها في بناء الجيل. 1مج. (ص:10،7).

[5] انظر: القرضاوي، الإيمان والحياة. (ص:366،365).

ثالثًا: العقيدة الإسلاميّة ضرورة لاستقرار، وتماسك المجتمع، وتوحّده: بحيث تمتد إليه بأشعته الوهّاجة، فإذا دمّ الحياة قد جرى في عروقه، والعافية قد سرت في أوصاله، فيشفيه وهو سقيم، بل يُحييه وهو رميم، أليس فيه نفحة من سرّ الألوهيّة الّتي تقول للشيء {كُن فيكون}؟[1]

رابعًا: الإيمان الإسلاميّ: هو جمال الدّنيا، ودنيا الجمال، وسرّ العالم، وعالم الأسرار، ومُحقِّق المعجزات، ومصنع البطولات، ومفتاح المغاليق، ومنارة الهدى في كلّ طريق، وهو في شموله، وتوازنه، وإيجابيته، وعمقه: معرفةً، ونيّةً، واعتقادًا، وعملاً: أُسلوب حياة متكامل.[2]

قال القرضاوي: "الإيمان الحقّ هو الّذي يخط آثاره في الحياة كلّها، ويصبغها بصبغته الرّبانيّة: في الأفكار، والمفاهيم، والعواطف، والمشاعر، والأخلاق، والعادات، والنّظم، والقوانين ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨﴾[البقرة: 138]".[3]

فبالعقيدة السّليمة الّتي تُثمر الإيمان الصّادق بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر، يَثبُت المرء على الصّراط المستقيم، ويُصحّح مقاييسه؛ لتكون ربانيّة، لا ماديّة.

---

[1] انظر: القرضاوي، الإيمان والحياة، (ص:366).

[2] انظر: المرجع السّابق، (ص: 365،366).

[3] المرجع السّابق، (ص:366).

المبحث الثّاني: التّعريف بسورة النّمل، وأهم المواضيع العقديَّة فيها

سورة النّمل سورة مكّيّة، وهي السّورة السّابعة والعشرون بالنسبة لترتيبها في المصحف الشّريف، وعدد آياتها ثلاث وتسعون آية، وموضوعها الرّئيسيّ هو العقيدة، وهذا ما سأبيّنه في المطالب الآتية.

المطلب الأوّل: تعريف عام بسورة النّمل

يتناول هذا المطلب: تسمية السّورة، والمناسبة بين افتتاحيتها، وخاتمتها، ومناسبتها لما قبلها، وبعدها، وما تضمنته من القضايا العقديّة.

أولا: تسميتها

قال السّيوطيّ: "النّمل: تُسَمَّى أَيْضًا سُورَةُ سُلَيْمَانَ".[1]

سُمّيت سورة النّمل بهذا الاسم لإيراد قصّة وادي النّمل فيها، وقصة النّملة الّتي نَصحت بني جنسها بدخول جحورهن، حتى لا يدهسهن جند سيّدنا سليمان عليه السّلام، وهم لا يشعرون. ففهم سيّدنا سليمان الّذي علّمه الله منطق الطّير قولها، فتبسم ضاحكًا، ودعا ربّه سبحانه وتعالى أن يلهمه، ويرزقه شكره على ما أنعم، وتفضّل به عليه.[2]

ثانيًا: مناسبتها لما قبلها (سورة الشّعراء)

خُتمت سورة الشّعراء بالوعيد على الظّلم، والظالمين أيًّا كانوا مُؤَكِّدًا عليه بالسِّين قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۚ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧﴾[الشعراء: 227]، أي: فسيعلم الظّالمون أيّ مرجع، ومنقلب سوء، وهلاك سيرجعون إليه في

[1] السّيوطي، جلال الدين، (ت: 911هـ): الإتقان في علوم القرآن. 4مج. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الهيئة المصري العامة للكتاب 1394هـ، (194/1).

[2] انظر: الصّابوني، محمد علي، (ت: 1442هـ): صفوة التّفاسير. 3مج. ط1. القاهرة: دار الصابوني 1417هـ، (367/2).

الدّنيا، والآخرة. وقد انعطف آخرها بوصف الكتاب المبين الجليل العظيم المنزّل على أشرف خلق الله بوساطة خير ملائكة الله، مزيلاً لكلّ لَبس، منفيّا عنه كلّ باطل، وأنّه بشرى للمؤمنين، وتسلية، وتثبيت للنّبيّ الكريم، ووعيد للكافرين الّذين هم أظلم الظّالمين (وذلك في فاتحة سورة النّمل) قال تعالى: ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ ۝١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾[النّمل: 1-2]..[1]

يُلاحظ ممّا سبق أنّ السّورتين تشتركان في بيان وحدة القصد من القصص القرآنيّ، وهو: تثبيت الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وتسليته عمّا يلقاه من أذى، وتكذيب، وإعراض من قومه.

ثالثًا: مناسبتها لما بعدها (سورة القصص)

خُتمت سورة النّمل بقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ۝٩٣﴾[النّمل: 93]، وفي ذلك، وعد مؤكّد بأنّ الله سيُظهر آياته فتُعرَف، وأنّه ليس بغافلٍ عن شيء سبحانه وتعالى، تثبيتًا للعالم، وتهديدًا للظالم. ويتجلّى هذا المعنى في قصّة سيّدنا موسى عليه السّلام مع فرعون في فاتحة سورة القصص، قال تعالى: ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ ۝١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٣﴾[القصص:1-3] ففي قصّ مثل هذه الأخبار العظيمة بيانًا لعلم الخفيّات، والجليّات؛ فصحّ أنّها دليل على قوله تعالى في خاتمة سورة النّمل: {سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ}.[2]

نزلت سورة الشّعراء، والنّمل، والقصص متتالية على هذا الترتيب. في سورة النّمل تفصيل للقصص النّبويّة المُجملة في سورة الشّعراء. وفي سورة القصص إيجاز لما فُصّل في سورة النّمل من إهلاك قوم صالح، ولوط عليهما السّلام، وتفصيل لما أُوجز من قصة سيّدنا موسى عليه السّلام في سورتيّ النّمل والشّعراء.

---

[1] انظر: البقاعي، إبراهيم بن عمر، (ت: 885هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. 22مج. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، (120/14+121).

[2] انظر: المرجع السّابق. (234/14).

رابعًا: المناسبة بين افتتاحيّة السّورة، وخاتمتها

قال تعالى في فاتحة سورة النّمل: ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ ۝١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾[النّمل: 1-2]، وختمت بقوله تعالى: ﴿وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝٩٢﴾[النّمل: 92]. وقد بيّن السّيوطي أنّ المناسبة بين افتتاحية سورة النّمل، وخاتمتها، بأنّها بدأت وخُتمت بذكر الكتاب وأنّه هدى.[1]

خامساً: ما اشتملت عليه السّورة

تقسم السّورة إلى عدّة مواضيع: [2]

الموضوع الأوّل: ذكر حلقة من قصّة سيّدنا موسى عليه السّلام تلي مقدّمة السّورة. حلقة رؤيته للنّار، وذهابه إليها، وتكليفه بالرّسالة إلى فرعون وملئه. ثم يعجّل السّياق بخبر تكذيبهم بآيات الله على الرّغم من يقينهم بصدقها، وعاقبة هذا التّكذيب.

الموضوع الثّاني: أشار سبحانه وتعالى إلى نعَمِه الّتي أنعمها على عبديه: داوود، وسليمان عليهما السّلام، ثمّ ذكر قصّة سيّدنا سليمان مع النّملة، ومع الهدهد، وقصّته مع ملكة سبأ، وقومها -الّتي تُعلِّمنا أنّ المُلك وسيلة للدّعوة إلى الله سبحانه وتعالى لا للتّسلّط، والبغي، والفساد!-. وفي هذه القصص تظهر نعمة الله عليهما، وقيامهما بشكر هذه النعم (العلم، المُلك، والنّبوة، مع تسخير الجنّ والطّير لسيّدنا سليمان). وفيها تظهر أصول العقيدة الّتي يدعو إليها كلّ رسول.

الموضوع الثّالث: تلا ذلك قصة سيّدنا صالح عليه السّلام مع قومه ثمود. ويبرز فيها تآمر المفسدين منهم عليه، وعلى أهله، وتبييتهم قتله، ثمّ مَكْر الله بالقوم، ونجاة سيّدنا صالح ومن آمن معه، وتدمير الكافرين منهم.

---

[1] انظر: السّيوطي، جلال الدين، (ت:911هـ): مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع. 1مج. ط1. الرياض: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع 1426هـ، (ص:58).

[2] انظر: سيّد قطب، (ت:1387هـ): في ظلال القرآن. 6مج. ط10. القاهرة: دار الشروق 1401هـ، (2625/5،2624).

الموضوع الرّابع: ختم سبحانه وتعالى قصص الأنبياء بقصة سيّدنا لوط عليه السّلام مع قومه، وهمّهم بإخراجه ومن آمن معه من قريتهم؛ لأنّهم أُناسٌ يتطهّرون! وما نالهم من العذاب بعد إذ هاجر سيّدنا لوط من بينهم.

الموضوع الخامس: ثمّ تناولت السّورة الدّلائل، والبراهين على وجود الله سبحانه وتعالى، ووحدانيته: من آثار مخلوقاته، وبدائع صنعه. وساقت بعض أهوال يوم الحشر الأكبر، وأشراط السّاعة. وخُتمت بتصنيف النّاس إلى: سعداء أبرار، وأشقياء فجّار.[1]

تأتي قصص القرآن هذه للعبرة، والعظة، والتّدبر في سنن الله وسنن الدّعوات، ولتثبيت معاني العقيدة في القلب، وللتّبشير، والتّنفير؛ وذلك بذكر عُقبى المؤمنين، والكافرين. وقد أشارت السّورة إلى إعجاز القرآن الكريم ببلاغة نظمه، وعلو معانيه، وعظم شأنه، وأكَّدَت على اتخاذ القرآن نبراسًا، ودستورًا للحياة الإنسانيّة. ولا شكّ أنّ هذه الموضوعات لها دور مهمّ، وأثر عميق في بناء الشّخصيّة المعتدلة، والمتّزنة، والإيجابيّة وهذا ما سأبيّنه فيما بعد.

المطلب الثّاني: أهم المواضيع العقديّة في سورة النّمل

أولا: التّوحيد في سورة النّمل

تميّزت سورة النّمل باهتمامها، وتركيزها على عقيدة التّوحيد، وقد بيّن القرضاوي أنّ: الإيمان بالله هو جوهر العقائد الإسلاميّة جميعًا، وتوحيد الله هو جوهر الإيمان بالله، ولبّ عقائد الإسلام، وروح الوجود الإسلاميّ.[2]

[1] انظر: الصّابوني: صفوة التفاسير. (367/2).

[2] انظر: القرضاوي، يوسف: حقيقة التوحيد. 1مج. ط9. القاهرة: مكتبة وهبة 1431هـ، (ص:5+14).

قال ابن العزّ الحنفي: "توحيد الله يتضمن ثلاثة أنواع، أحدها: الكلام في الصِّفات، والثّاني: توحيد الربوبيّة وبيان أنّ الله وحده خالق كلّ شيء، والثّالث: توحيد الإلهيّة، وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يُعبَد وحده لا شريك له".[1]

وقد أوضح القرضاوي أنّه لا يقبل إيمان امرئٍ عند الله ما لم يقم بتوحيده سبحانه فيها: [2]

1. توحيد الله علمًا واعتقادًا: (وهو ما سمّاه الكثير من المصنفين قديمًا، وحديثًا "توحيد الرّبوبيّة"): بأن يؤمن إيمانًا جازمًا بأنّه سبحانه واحد متفرّد في ذاته، وصفاته، وأفعاله، لا شريك له ولا شبيه، ولا ولد ولا والد، وكل ما سواه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا، ولا ضرًّا إلا بإذنه، وهو ما دلّت عليه سورة الإخلاص وغيرها.
2. توحيد الله قصدًا وعملاً: (وهو ما سمّاه الكثير من المصنّفين قديمًا، وحديثًا "توحيد الإلهية/ الألوهية"): بأن يفرده عزّ وجلّ بالطّاعة المطلقة، والعبوديّة الكاملة، والذلّ، والخضوعّ والإنابة إليه، والتّوكّل عليه، والخشية منه، والرّجاء فيه، وهو ما تضمّنته سورة الكافرين وغيرها.
3. توحيد الأسماء والصّفات: يقوم على إفراد الله سبحانه بكلّ ما له من صفات عليا، وأسماء حسنى الّتي لا ينبغي أن يتصف بها غيره، ومن جُملتها كونه: ربًا واحدًا لا شريك له في ربوبيته، وإلهًا واحدًا لا شريك له في إلهيّته.[3]

وبالجُملة فهذه الأنواع الثلاثة من التّوحيد: متكافلة متلازمة يُكمل بعضها بعضًا. فلا يصحّ توحيد الرّبوبيّة دون توحيد الألوهية، فاعتقاد أنّ الله سبحانه هو ربّ كل شيء، وخالقه، ومليكه، والقائم على أمور عباده، والمربّي لهم وحده لا شريك له وَجَبَ أن يكون هو المعبود وحده. وكذلك لا يصحّ العكس، فإنّ مَن عَبَدَ الله وحده ولم يشرك به شيئًا، ولكنّه اعتقد مع ذلك أنّ لغيره تأثيرًا في شيء، أو قدرة على ما لا يقدر عليه إلا

[1] ابن العز، علي بن علي، (ت: 792هـ): شرح العقيدة الطحاويّة. 1مج. تحقيق: بشير محمد عيون. ط2. بيروت 1408هـ، (ص:17).
[2] انظر: القرضاوي: حقيقة التوحيد. (ص:19+20).
[3] انظر: هراس، محمد خليل، (ت: 1353هـ): دعوة التوحيد. 1مج. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية 1406هـ، (ص:73).

الله، فهذا لا تصحّ عبادته. وأيضًا من وحّد الله في ربوبيته، وألوهيته ولكنّه سمّى غيره باسمه، أو ألحد في أسمائه، أو أثبت لغيره مثل صفته، فلم يثبت له ما دلّت عليه تلك الأسماء من صفات الكمال فلم ينفعه توحيده في الربوبيّة، ولا الألوهية. فلا يكمل لأحد توحيده حتى يجمع بين أنواع التّوحيد الثلاثة.[1]

فالتّوحيد هو شعار الإسلام، ومهمّة الرسل الأولى، والأهمّ، ورسالة المسلم في الحياة، ومن أجله حُقّت الحاقّة، ونُصِبَت الموازين، ونُشِرَت الدواوين، وانقسم النّاس إلى شقيّ، وسعيد.

ثانيًا: بيان أهمّ الأدلّة على حقيقة التّوحيد الواردة في سورة النّمل

1. قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾[النّمل: 25].

أي: هؤلاء لا يعرفون سبيل الحق، ولا يهتدون إلى عبادة الله الخالق المبدع، الّذي يُظهر كل مخبوء وراء ستار الغيب في هذا الكون الواسع، سواء أكان مطرًا، أو نباتًا، أو سرًّا من أسرار السّماوات، والأرض. والّذي يعلم الخبء الّذي في أطواء النّفس ما ظهر منه، وما بطن.[2]

2. قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا

[1] انظر: المرجع السّابق، (ص:72+74).

[2] انظر: سيّد قطب: في ظلال القرآن. (2639/5).

تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾[النّمل: 59-63].

في هذه الجولة من المشاهدات في صفحة الكون، وأطواء النفس أدلة قاطعة -لا يمكن إنكارها- على وجود الله الخالق المدبّر القدير، ووحدانيّته سبحانه وتعالى.

{قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ}: أمر الله سبحانه وتعالى رسوله صلّى الله عليه وسلّم أن يتلو هذه الآيات النّاطقة بالبراهين، والحجج على وحدانيّته، وحكمته، وقدرته على كلّ شيء عزّ وجلّ، وأن يستفتح بحمده، وشكره على نعمه الّتي لا تُحصى ولا تُعدّ، والسّلام على من اصطفى، واختار من عباده سبحانه، وهذا فيه تعليم حسن، وتوقيف على أدب جميل مُتوارث بين العلماء، والخطباء والوعّاظ.[1]

{ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ}: آلله الّذي أنعم على أوليائه هذه النعم الّتي قصّها عليكم في هذه السّورة، والّذي أهلك أعداءه بصنوف العذاب خير أمّا تشركون معه من أصنامكم، وأوثانكم الّتي لا تنفع نفسها، ولا تضرّها فضلاً عن نفعكم، أو ضرّكم؟![2]

في هذه الآية توبيخ وتبكيت للمشركين، وإنكار عليهم إشراكهم في عبادتهم مع الله آلهة أخرى. وفيه استدلال بتوحيد الرّبوبيّة على وحدانيّة الله في الألوهيّة، فهل الله الخالق المالك العظيم المدبّر خير أم ما يشركون به من الأصنام الّتي لا تنفعهم بشيء؟!

[1] انظر: الزمخشري، محمود بن عمرو، (ت:538هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. 4مج. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي 1407هـ، (375/3).

[2] انظر: الطبري، محمد بن جرير، (ت: 310هـ): جامع البيان في تأويل القرآن. 24مج. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط1. مؤسسة الرسالة 1420هـ، (483/19).

4. ما يتعلق عمومًا باحتياج الخلق إلى الله تعالى: {أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} أي: أمّن يُجيبُ المجهود المكروب إذا دعاه ويكشفُ عنه الضرّ، {وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ} أي: سكانها يهلك قرنًا وينشئ آخر.[1]

ارتقى الاستدلال من التّذكير بالتّصرّف الرّبانيّ في ذوات المخلوقات إلى التّذكير بتصرفه في أحوال النّاس الّتي لا يخلو عنها أحد في بعض شؤون الحياة، وذلك حال الاضطرار إلى تحصيل الخير، وحال انتياب السّوء، وحال التّصرف في الأرض ومنافعها، ثمّ استؤنف عقب هذا الاستدلال باستفهام إنكاريّ تكرارًا لما تقدّم عقب الأدلّة السّابقة زيادة في تعداد خطئهم بقوله: {أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ}. والتّذكُّر: من الذِّكر، وهو ضدّ النّسيان فهو استحضار المعلوم، أي قليلا استحضاركم الافتقار إلى الله وما أنتم فيه من إنعامه فتهتدوا بأنّه الحقيق بأن لا تشركوا معه غيره.[2]

5. ما يتصل باحتياج الخلق إلى الله تعالى في وقت خاص: {أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } أَمّن يُرشدكم في ظلمات الليالي في البرّ، والبحر بالنجوم، وغيرها من العلامات. "وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ" أي المطر. "أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ": نفي لأن يكون معه سبحانه إله آخر، وقوله تعالى: "تَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ" تقرير وتحقيق له، أي: تعالى وتنزّه بذاته المنفردة بالألوهيّة، المُستتبعة لجميع صفات الكمال،

[1] انظر: البغوي، الحسين بن مسعود، (ت: 510ه): معالم التنزيل في تفسير القرآن. 5مج. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي 1420ه، (511/3).

[2] انظر: ابن عاشور: التّحرير والتّنوير. (14،16/20).

ونعوت الجلال، والجمال، المُقتضية لكون جميع المخلوقات مقهورة تحت قدرته عن وجود ما يشركونه به سبحانه.[1]

يبرز في هذه الآيات الاستدلال بالفطرة على توحيد الله في ألوهيته، فالإنسان في لحظات الشّدة لا يتوجّه إلاّ للقوّة العظمى، والقدرة العليا سبحانه وتعالى.

يظهر ممّا سبق أنّ التّوحيد هو: تحرير للإنسان من كل عبوديّة، وخضوع إلاّ لخالقه سبحانه وتعالى، وتحرير لعقل الإنسان من كل وهم وخرافة، فأصل الدّين كلّه، هو معرفة الله عزّ وجلّ، والإيمان الجازم به وتوحيده.

وإذا تحقق التّوحيد الخالص من شوائب الشّرك في حياة الفرد آتى أينع الثّمرات، وحقّق أنفع الآثار في حياته، وعلى شخصيّته فهو مصدر لقوّة الشّخصيّة، وجَعْلها متزنة آمنة رضيّة.

ثالثًا: بيان أهم المعيقات الّتي تصدّ الناس عن الإيمان بالله تعالى، وتوحيده

للشرك مفاسده، وأضراره الجسيمة على الفرد (شخصيته، وسلوكه، وحياته)، والمجتمع، ومن أهمّ الموضوعات الّتي سلّطت سورة النّمل الضّوء عليها هي، الأسباب، والحُجُب الّتي تَحول بين النّاس وبين الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وتوحيده، وسأبيّن فيما يلي أهمّها:

1. **غفلة القلب، وتزيين المعصية**

إنَّ القرآن العظيم ليس كتاب علم نظريّ، أو تطبيقيّ يستوعبه وينتفع به كل مَن يقرؤه، إنّما هو كتاب يخاطب، أول ما يخاطب، القلب. فكلّما كان القلب حيًّا نديًّا بالإيمان زاد تذوقًا لحلاوته، وأدرك من هديه، وتوجيهاته ما لا يدركه منه القلب الغافل الصّلد الجاف! فالإيمان هو مفتاح كنوز القرآن الهائلة من

[1] انظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، (ت: 1270هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. 16مج. تحقيق: علي عبد الباري عطية. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية 1415هـ، (218/10).

المعرفة، والاستقامة، والحركة، والتّوجيه، والّذين آمنوا حقّ الإيمان حقّقوا الخوارق بهذا القرآن، الّذي منحهم البشرى في الدّنيا، والآخرة، والهدى في كل فجٍّ وطريق.[1]

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ٤﴾[النّمل:4].

أي: "إنّ الّذين لا يُصدّقون بالدّار الآخرة، وقيام السّاعة، وبالمعاد إلى الله بعد الممات، والثّواب، والعقاب؛ حبّبنا إليهم قبيح أعمالهم، وسهّلنا ذلك عليهم؛ فهم في ضلال أعمالهم القبيحة الّتي زيَّناها لهم يتردّدون حيارى يحسبون أنّهم يحسنون".[2]

إنّ الكفر، والشّرك يعطّلان العقل، ويجمّدان الفكر الّذي كرّم الله به الإنسان وميّزه به من غيره. ولا شكّ أنّ الغفلة تُشتّت الإنسان، وتجعل عقله وكرًا للخرافات، والأباطيل، ممّا يترك أثره السّلبيّ على شخصيّته؛ فيجعلها شخصيّة مشتّتة حائرة متخبّطة.

2. **الظّلم، والاستكبار عن اتباع الحقّ**

يُعدّ الكِبر من أهمّ، وأخطر العوامل الصّارفة عن الاستجابة للحقّ، والباعثة إلى التّمرد عليه.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١٣ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤﴾[النّمل:13-14].

أي: فلمّا جاءتهم الآيات واضحة، مُبصِرة تُبصِّر النّاس، وتقودهم إلى الهدى، ظاهرة دالّة على صدق سيّدنا موسى، وأخيه هارون عليهما السّلام أنكروها، وقالوا: هذا سحر مبين! قالوا ذلك، لا عن اقتناع به، ولا عن شبهة فيه، فقد علمت، واستيقنت أنفسهم أنّها الحق الّذي لا التباس فيه، ولكنّهم قالوها جحودًا ومُكابرة؛

[1] انظر: سيّد قطب: في ظلال القرآن. (2626/5).

[2] الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن. (426/19).

لأنّهم لا يريدون الإيمان، والاستقامة، ولا يطلبون البرهان؛ استعلاء على الحقّ وظلمًا له ولأنفسهم بهذا الاستعلاء الذّميم.[1]

وقال تعالى: ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾[النّمل: 31].

أي: مؤمنين، أو منقادين، وهذا كلام في غاية الوَجازة مع كمال الدّلالة على المقصود؛ لاشتماله على النّهي عن التّرفع الّذي هو أُمُّ الرّذائل، والأمر بالإسلام الجامع لأمّهات الفضائل.[2]

لا شكّ أنّ في الكفر، والشّرك ظلم للحقائق الّتي لا ريب فيها، وظلم للنّفس بعبوديتها لغير الله، وقد خلقها الله حرّة، وظلم للغير فمن أشرك مع الله غيره فقد ظلمه بإعطائه من الحقّ ما ليس فيه!

3. **الجهل**

الجهل من الآفات الخطيرة على الصّعيد الفرديّ، والمجتمعيّ.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾[النّمل:15].

وقال تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾[النّمل:61].

أي: أإله مع الله أبدع هذا! بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون الحقّ فيتبعونه، ولا يعرفون قدر عظمة الله سبحانه وتعالى، وما عليهم من الضّرّ في إشراكهم مع الله غيره، وما لهم من النّفع في إفراد الله تعالى بالألوهة، وإخلاصهم له العبادة.[3]

---

[1] انظر: أبي زهرة، محمّد بن أحمد، (ت: 1394هـ): زهرة التفاسير. 10مج. دار الفكر العربي، (2630/5).

[2] انظر: البيضاوي، عبد الله بن عمر، (ت: 685هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل. 5مج. تحقيق: محمد عبد الرجمن المرعشلي. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي 1418هـ، (159/4).

[3] انظر، الطّبري: جامع البيان في تأويل القرآن. (448/19).

يظهر ممّا سبق أنّ الرسوخ في العلم يهدي إلى الإيمان، وإلى التقرّب من الخالق العظيم؛ ممّا يؤثر إيجابيًّا على شخصيّة الإنسان فيجعلها مطمئنّة.

في حين أنّ العلم الّذي يُبعد الإنسان عن ربه سبحانه وتعالى هو علم فاسد يُثمر الشّقاء، والضّلال والخسارة في الدّنيا، والآخرة، ويؤثّر على شخصيّة الإنسان بشكل سلبيّ فيجعلها شخصيّة خائفة مضطربة؛ لأنّه انقطع، وانحرف عن مصدره، ووجهته، وضلّ طريقه إلى الله.

4. تزيين الشّيطان للباطل وصدّه عن سبيل الحقّ

من أهمّ أساليب الشّيطان الّتي يستخدمها لإضلال الإنسان هي تزيينه للباطل.

قال تعالى: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾[النّمل: 24].

وجد الهدهد ملكة سبأ وقومها يعبدون الشّمس، ويسجدون لها من دون الله سبحانه وتعالى، وقد زيَّن، وحسّن لهم إبليس ذلك وحبّبه إليهم، فمنعهم بهذا أن يتبعوا الطّريق المستقيم، وهو دين الله عزّ وجل الّذي بعث به أنبياءه، فهم بذلك لا يهتدون إلى سبيل الحقّ، ولا يسلكونه، ولكنّهم في ضلالهم يتردّدون.[1]

إنّ الشّيطان يُظهر للإنسان الباطل في صورة الحقّ، والحقّ في صورة الباطل، ولا يزال يزيّن، ويُحسّن له الباطل، ويكرّهه بالحقّ حتى يُعرِض عنه، ويجعله شخصيّة منحرفة تندفع إلى فعل المنكرات.

5. المال والجاه والسّلطة

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾[النّمل:36].

[1] انظر: الطّبري: جامع البيان في تأويل القرآن. (447/19).

لمّا جاءت رسل ملكة سبأ بالهديّة لسيّدنا سليمان عليه السّلام، أعرض عنها، وقال منكرًا: أتمدّونني بمال؟ أي: أتصانعونني بمال لأترككم على شرككم، ومُلككم! فإنّ الله سبحانه وتعالى قد أعطاني خيرًا ممّا أعطاكم، وهو النّبوّة، والمُلك الواسع، والمال الوفير، فلا حاجة لي بهديتكم، فأنتم الّذين تتقادون للهدايا والتّحف.[1]

إنّ الانحصار في دائرة الماديّات، والمحسوسات يوّلد شخصيّة طمّاعة جشعة، ويجعل الحياة شقاء لا سعادة فيها.

6. التّقليد الأعمى للآباء

إنّ في طليعة الضّلالات الاعتقاديّة المنتشرة: الاعتقادات الوراثيّة المُتمكّنة في الأنفس بسبب التّعصّب، والتّقليد الأعمى لما كان عليه الأسلاف، والّتي تعدّ من أخطر المعيقات الّتي تصدّ النّاس عن الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ٤٣﴾[النّمل:43].

أي: صدّ ملكة سبأ عن الإسلام عبادتها للشّمس، ونشأتها في بيئة كافرة، وبين قوم كافرين. فالشّرك مُنطبع في نفسها بالوراثة، والكفر قد تغلغل فيها وأحاط بها، فمن أين يَخلُصُ إليها الهدى، والإيمان؟![2]

وبهذا فإنّ التّقليد الأعمى يُفقد الانسان شخصيّته، ويجعله يفكّر بعقل غيره، وفي هذا مَهانة للإنسانيّة. كالشّعوب الّتي تعبد الحيوانات، أو الأصنام اقتداءً بآبائهم، فهؤلاء تبرز فيهم الشّخصيّة السّلبيّة الّتي تعيش في الأجزاء المظلمة من الجهل، والتّخلّف الفكريّ، والحضاريّ.

---

[1] انظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (ت: 774هـ): تفسير القرآن العظيم. 8مج. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. ط2. دار طيبة للنشر والتوزيع 1420هـ، (191/6).

[2] انظر: ابن عاشور: التّحرير والتّنوير. (274،275/19).

7. **التّطيّر، والتّشاؤم**

قال تعالى: ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ٤٧﴾[النّمل:47].

كان الرّجل يخرج مسافرًا فيمرّ بطائر فيزجره، فإن مرّ سانحًا –بأن يمرّ من مياسرك إلى ميامنك– تيمّن، وإن مرّ بارحًا–بأن يمرّ من ميامنك إلى مياسرك– تشاءم، فلمّا نسبوا الخير، والشّر إلى الطّائر وقالوا: "اطيرنا بكم"، أي: تشاءمنا. قالَ:"طائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ" أي: سببكم الّذي يجيء منه خيركم، وشرّكم عند الله، وهو قدره، وقسمته، إن شاء رزقكم، وإن شاء حرمكم. ويجوز أن يريد: عملكم مكتوب عند الله، فمنه نزل بكم ما نزل –عقوبة لكم وفتنة–[1].

يُعدّ الشّرك مصدرًا للجهل، والمخاوف، والأوهام، والخزعبلات، ومعطّلاً لإيجابيّة الإنسان.

8. **اعتياد النّعم**

قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾[النّمل:62].

أإله مع الله يستجيب لدعائكم، ويكشف السوء عنكم، ويُغدِق عليكم بالنّعم؟! ولكنّكم قليلاً ما تذكرون عظمة الله، ونعمه عليكم، فلذلك أشركتم مع الله غيره في عبادته![2]

فلا شكّ أنّ اعتياد، النّعم، والإصرار على الشّرك بالله يبني شخصيّة جاحدة.

[1] انظر: الزّمخشري: الكشاف. (371/3).

[2] انظر: الطّبري: جامع البيان في تأويل القرآن. (485/19).

رابعًا: بيان نماذج من قدرة الله تعالى في إهلاك الظّالمين

من القضايا العقديّة المهمّة الّتي تناولتها سورة النّمل، بيان نماذج من قدرة الله عزّ وجلّ في إهلاك الظّالمين، سأذكرها فيما يلي:

النّموذج الأوّل: إهلاك قوم ثمود

مَكَرَ قوم ثمود ودبّروا، ولكنّ الله يعلم تدبيرهم، ويطّلع على مكرهم وهم لا يشعرون؛ فإذا المباغتة الحاسمة القاضية! فمن لمحة إلى لمحة إذا التّدمير والهلاك، وإذا الدّور والبيوت خاوية خالية! إنّ في هذا لعبرة لقوم يعلمون. قال تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٥٠ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥١ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٥٢﴾[النّمل:50-52]. ثمّ ذكر سبحانه وتعالى نجاة المؤمنين الّذين يخافون الله ويتّقونه؛ فالّذي يخاف الله يقيه سبحانه من المخاوف فلا يجمع عليه خوفين، قال تعالى: ﴿وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٥٣﴾[النّمل:53].[1]

النموذج الثّاني: إهلاك قوم لوط

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ٥٤ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ٥٥ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ٥٦ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٥٧ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ٥٨﴾[النّمل:54-58].

[1] انظر: سيّد قطب: في ظلال القرآن. (2644/5-2646).

قال ابن عاشور: "وجملة: {وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ} حال زيادة في التّشنيع؛ أي تفعلون ذلك علنًا يُبصِر بعضكم بعضًا، فإنّ التّجاهر بالمعصية معصية؛ لأنّه يدل على استحسانها وذلك استخفاف بالنّواهي". {بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} "فوصفهم بالجهالة، وهي اسم جامع لأحوال أفن الرّأي، وقساوة القلب".[1]

يظهر ممّا سبق، أنّ مخالفة الفطرة، لها أثر عظيم على الشّخصيّة، فهي تُنشِئ شخصيّة منحرفة جاهلة سفيهة. في حين يربّي التّوحيد شخصيّة عالمة قويّة إيجابيّة واثقة.

وقد بيّن سيّد قطب أنّ: "القيمة الكبرى في ميزان الله هي: قيمة العقيدة. إنّ السّلعة الرّائجة في سوق الله هي: سلعة الإيمان. وإنّ النّصر في أرفع صوره هو: انتصار الرّوح على المادّة، وانتصار العقيدة على الألم، وانتصار الإيمان على الفتنة".[2]

خامسا: بيان دلائل علم الله المطلق

من أهم صفات الله سبحانه وتعالى: علمه اللامحدود، وإحاطته بكافة أسرار عالم الوجود، وغيب السّماوات، والأرض.

فالله عزّ وجلّ هو العالم بكلّ شيء. ولكمال علمه لا تتحرك ذرّة ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، ويعلم ما بين أيدي الخلائق، ودبيب الخواطر في القلوب الّتي لا يطّلع عليها المَلَك، ويعلم ما سيكون منها حيث لا يطّلع عليه القلب![3]

يظهر ممّا سبق، أنّ إثبات صفة العلم لله سبحانه وتعالى يحفّز الشّخصيّة ويحثّها على طلب العلم، وحبّه، والعمل به. وقد ركّزت سورة النّمل على صفة العلم، وشرفه وأنّه من أجلّ النّعم.

---

[1] ابن عاشور: التّحرير والتّنوير. (288/19).

[2] سيّد قطب، (ت:1387هـ): معالم في الطّريق، 1مج. ط1. فلسطين 1425هـ، (ص:181).

[3] انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر، (ت:751هـ): طريق الهجرتين وباب السّعادتين. 1مج. ط2. القاهرة: 1394هـ، (ص:127).

قال سيّد قطب: "والتّركيز في هذه السّورة على العلم، علم الله المطلق بالظّاهر، والباطن، وعلمه بالغيب خاصة، وآياته الكونيّة الّتي يكشفها للنّاس، والعلم الّذي وهبه لداوود، وسليمان، وتعليم سليمان منطق الطّير وتنويهه بهذا التّعليم".[1]

وسأبيّن فيما يلي دلائل علم الله المطلق الّتي اشتملت عليها السّورة.

دلائل علم الله المطلق الّتي اشتملت عليها سورة النّمل:

1. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾[النّمل:6].

هذه الآية خطاب للنّبي صلّى الله عليه وسلّم، وفيها إثبات المصدر الإلهيّ الّذي يتنزّل منه هذا القرآن الكريم. ولفظ "تلقّى" يُلقي ظلّ الهدية المباشرة الشّريفة من لدن حكيم عليم. يصنع كلّ شيء بحكمة، ويدبّر كلّ أمر بعلم. وتتجلّى حكمته سبحانه وتعالى في هذا القرآن: في تكاليفه، منهجه، طريقته، توجيهاته، تنزيله، وتناسق موضوعاته.[2]

2. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٥ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ۝١٦﴾[النّمل:15-16].

أي: ولقد آتينا داوود، وابنه سليمان طائفة من العلم، أو علمًا سنيًّا غزيرًا، فعملا به، وعلّماه، وعرفا حقّ النّعمة فيه. وورث سيّدنا سليمان عليه السّلام النّبوة، والمُلك من أبيه بتكليف من الله تعالى، وكان سيّدنا داوود عليه السّلام أكثر تعبّدًا، وسليمان أقضى، وأشكر لنعمة الله سبحانه وتعالى. {وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ} تشهيرًا لنعمة الله، واعترافًا بمكانها، وتنويهًا بها، ودعوة النّاس للتّصديق بذكر المعجزة الّتي هي: علم منطق

[1] سيّد قطب: في ظلال القرآن. (2625/5).
[2] انظر: المرجع السّابق (2628/5، 2627).

الطّير، وغير ذلك ممّا أوتيه من عظائم الأمور. وفي الآية دليل على: شرف العلم، وتقدّم حملته وأهله، وأنّه من أجلّ النّعم، وأجزل القَسم، وأنّ من أوتيه فقد أوتي فضلاً على كثير من عباد الله. [1]

3. قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ٢٥﴾[النّمل:25].

أي: ألاّ يسجدوا لله العظيم الّذي يعلم الخفي الخبيء في أقطار السّماوات، وأنحاء الأرض، وخفايا الصّدور، والّذي يُخرِج خبء السّماوات بإنزال المطر، وإنبات النّباتات، وخبء الأرض عند النّفخ في الصّور، وإخراج الأموات من قبورهم ليجازيهم على أعمالهم؟![2]

4. قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ٦٦﴾[النّمل:65-66].

قوله تعالى: {قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ} نص قاطع، لا تبقى بعده دعوى لمدّع، ولا يبقى معه مجال للوهم، والخرافة. فبهذا نفى سبحانه وتعالى عنهم علم الغيب على العموم، ثمّ نفى عنهم علم الغيب المخصوص في أمر الآخرة؛ لأنّها القضيّة الّتي ينازع فيها المشركين بعد التّوحيد. قال تعالى: {وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ} فهم لا يعلمون بهذا الموعد يقينًا، ولا يشعرون به حين يقترب شعورًا. وقوله تعالى: {بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ} أي: بل انتهى علمهم بها، ووقفوا دون بلوغها، "بل هم في شكّ منها" لا يستيقنون بمجيئها، وقوله تعالى: {بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ} أي: لا يبصرون من أمرها شيئًا.[3]

---

[1] انظر: الزّمخشري: الكشاف. (352/3+353).

[2] انظر: السّعدي، عبد الرحمن، (1376هـ): تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. 1مج. ط1. مؤسسة الرسالة 1420هـ، (ص:604).

[3] انظر: سيّد قطب: في ظلال القرآن. (2662/5).

5. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٧٤ وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ٧٥﴾[النّمل:74-75].

أي: إنّ ربك يمهلهم، ويؤخّر العذاب عنهم مع علمه بخفايا البواطن، والضّمائر، والسّرائر، وما تعلنه ألسنتهم، وأفعالهم، فهو الإمهال عن علم، وفضل، وهم بعد ذلك محاسبون. ويختم هذه الجولة بتقرير علم الله الشّامل المطلق الكامل الّذي لا تخفى عليه خافية في السّماء، ولا في الأرض.[1]

سادسا: حقيقة حول اليوم الآخر تفرَّدت بها السّورة الكريمة

حفلَ القرآن الكريم بذكر اليوم الآخر، واهتم بتقريره، ونبّه عليه، وأكّد وقوعه بشتى الأساليب. ومن مظاهر الاهتمام بهذا اليوم العظيم في كتاب الله أنّه كثير ما ربط الإيمان به بالإيمان بالله عزّ وجلّ. وقد تناولت سورة النّمل مقدمات قيام القيامة –بعد أن أبان سبحانه الدّلائل على كمال قدرته وكمال علمه–، ووضَّحت حقائق حول اليوم الآخر، تفردت بها، وسأبيّنها فيما يلي:

الحقيقة الّتي تفرّدت بها سورة النّمل (حول اليوم الآخر) هي: خروج الدابّة.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ٨٢﴾[النّمل:82].

بيّن ابن عاشور أنّ المراد بالقول: أخبار الوَعيد الّتي كذّبوها، واستهزؤوا بها، واستبطؤوا وقوعها بقولهم: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٧١﴾[النّمل:71]. والوقوع: مُستعار لحلول وقته، وذلك من وقت تهيؤ العالم للفناء إلى أن يدخل أهل الجنّة الجنّة، وأهل النّار النّار. والتّعبير عن وقوع الوعيد الأكبر (وَعيد البعث) جاء بصيغة الماضي لتقريب زمن الحال من المضيّ، أي: اقترب وقوعه. على أنّ "فعل المضيّ" مع "إذا" ينقلب إلى الاستقبال. والدابّة: اسم للحيّ من غير الإنسان، مُشتق من الدَّبيب، وهو

[1] انظر: المرجع السّابق. (2664/5).

المشي على الأرض وهو من خصائص الأحياء. وقد رويت في وصفها، ومكانها أخبار مضطربة ضعيفة الأسانيد.[1]

وحسبنا أن نقف عند النّص القرآنيّ، والحديث الصّحيح الّذي يُفيد أنّ خروج الدابّة تُكلمهم هي خارقة من علامات السّاعة منبئة باقترابها، لا تُقبل بعدها توبة، ولا يُقبل لنفس لم تكن آمنت من قبلُ إيمان.

جاء في صحيح الإمام مسلم: قال: "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم: "ثَلاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدابّة الأَرْضِ."[2]

ثلاث آيات (طلوع الشّمس من مغربها، والدّجّال، ودابّة الأرض) إذا ظهرت ﴿لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ ١٥٨﴾[الأنعام: 158]. وَقَدَّمَ الطُّلُوعَ وَإِنْ كَانَ مُتَأَخِّرًا فِي الْوُقُوعِ؛ لأَنَّ مَدَارَ عَدَمِ قَبُولِ التَّوْبَةِ عَلَيْهِ، وَإِنْ ضُمَّ خُرُوجُ غَيْرِهِ إِلَيْهِ.[3]

قال ابن حجر: طلوع الشّمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغيّر أحوال العالم العلويّ، وينتهي ذلك بقيام السّاعة، وخروج الدّجّال أوّل الآيات العظام المؤذنة بتغيّر الأحوال العامّة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت سيّدنا عيسى بن مريم، ولعلّ خروج الدابّة يقع في ذلك اليوم الّذي تطلع فيه الشّمس من المغرب.[4]

وقال: "قال الحاكم أبو عبد الله: الّذي يظهر أن طلوع الشّمس يسبق خروج الدابّة، ثم تخرج الدابّة في ذلك اليوم، أو الّذي يقرب منه. قلت: والحكمة في ذلك أنّ عند طلوع الشّمس من المغرب يغلق باب التّوبة

---

[1] انظر: ابن عاشور: التّحرير والتّنوير. (38،39/20).

[2] مسلم بن الحجاج، (ت:261هـ): صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. 5مج. بيروت: دار إحياء التراث العربي، (137/1).

[3] انظر: الملا علي القاري، علي بن سلطان محمد، (ت: 1014هـ): مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. 9مج. ط1. بيروت: دار الفكر 1422هـ، (3451/8).

[4] انظر: ابن حجر، أحمد بن علي (ت: 852هـ): فتح الباري شرح صحيح البخاري. 13مج. بيروت: دار المعرفة 1379هـ، (353/11).

فتخرج الدابّة تميّز المؤمن من الكافر تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التّوبة، وأوّل الآيات المؤذنة بقيام السّاعة النّار الّتي تحشر الناس".[1]

أمّا عن إخراجها من الأرض فذلك ليريهم الله سبحانه وتعالى قدرته على إحياء الموتى؛ إذ كانوا قد أنكروا البعث. وكلامها لهم هو خطاب لهم بحلول الحشر. وإنّما خلق الله الكلام لهم على لسان دابّة؛ تحقيرًا لهم، وتنديمًا على إعراضهم عن قبول أبلغ كلام وأوقَعِهِ من أشرف إنسان وأفصحه، ليكون لهم خزي في آخر الدّهر يُعيَّرون به في المحشر.[2]

قال سيّد قطب: "وممّا يُلاحظ أنّ المشاهد في سورة النّمل مشاهد حوار وأحاديث بين طائفة من الحشرات، والطّير، والجنّ، وسليمان عليه السّلام. فجاء ذكر الدّابّة وتكليمها النّاس متناسقًا مع مشاهد السّورة وجوّها، مُحققًا لتناسق التّصوير في القرآن، وتوحيد الجزيئات الّتي يتألّف منها المشهد العام".[3]

لا شكّ أنّ الإيمان باليوم الآخر، وعلاماته له أشدّ الأثر على شخصيّة الإنسان، وانضباطه، والتزامه بالعمل الصّالح، وتقوى الله عزّ وجلّ. فإنسان يعتقد بيوم يُحاسَبُ فيه على كلّ صغيرة، وكبيرة أمام أعدل العادلين –مُنضبط في حدود الحقّ، والخير، والصّلاح، والإصلاح–، لا يستوي مع إنسان تفلّت من أيّ ضابط سوى هواه، وشهوته! وممّا يشير إلى هذا ويؤكّده: أسلوب القرآن في الرّبط بين الإيمان باليوم الآخر، والعمل الصّالح.

---

[1] المرجع السّابق.

[2] انظر: ابن عاشور: التّحرير والتّنوير. (39/20).

[3] سيّد قطب: في ظلال القرآن. (2667/5).

الفصل الثّاني

دور العقيدة الإسلاميّة في بناء الجانب العقليّ، والعاطفيّ في الشّخصيّة في ضوء سورة النّمل

للعقيدة الإسلاميّة دور كبير في بناء الشّخصيّة بجوانبها العقليّة، والعاطفيّة؛ فهي تبني العقليّة البرهانيّة الّتي تقوم على التّفكير السّليم، والقويم في الشّخصيّة، وتبني فيها الجانب العاطفيّ (الوجدانيّ، الشّعوريّ)، فهي أساس لكلّ ما يصدر عن الإنسان من: سلوكيات، وأخلاقيّات، ونظام حياة... وهذا ما سأبيّنه في المبحثين الآتيين.

المبحث الأوّل: دور العقيدة الإسلاميّة في بناء الجانب العقليّ في الشّخصيّة

للعقل أهميّته ودوره في تجديد الفكر، والفهم الدّيني، وقد حَمَل القرآن حملة شعواء على المقلّدين، والمعطّلين لعقولهم، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾[النّمل:60]، وسأبيّن هذا من خلال المطالب الآتية.

المطلب الأوّل: أهميّة دور العقيدة الإسلاميّة في بناء الجانب العقليّ في الشّخصيّة

لا بدّ قبل بيان أهمية دور العقيدة الإسلاميّة، وأثرها في بناء الجانب العقليّ في الشّخصيّة من بيان مكانة العقل في الإسلام.

أولا: مكانة العقل في القرآن الكريم

جاءت مادة (ع.ق.ل) 49 مرّة في القرآن الكريم[1]، وهذا يدلّ على مكانة العقل العظيمة، ومنزلته الرفيعة فهو يعمل بدعوته القويّة، وبتوجيهاته المتكررة على تكوين العقليّة العلميّة المتحرّرة، تلك الّتي لا ينهض علم إلاّ على عاتقها، فهو يرفض: العقليّة المقلِّدة، والعقليّة الخرافيّة، والعقليّة المتّبِعة للهوى. ومن أروع ما هدى إليه القرآن الكريم في جانب الفكر، والعلم، إشادته –في مواضع شتّى من سوره المكّيّة والمدنيّة–بأُولي النّهى، والألباب، أي: أصحاب العقول.[2]

وقد بيّن عباس العقّاد أنّ القرآن لا يَذكر العقل إلا في مقام التّعظيم، والتّنبيه على وجوب العمل به والرّجوع إليه. وتأتي الإشارة إليه في كلّ موضع منها بشكل مؤكّد، وجازم: باللفظ، والدّلالة. وتتكرر في كلّ مَعرض من معارض الأمر، والنّهي الّتي يحثّ فيها المؤمن على تحكيم عقله، ويُلام فيها المنكر على إهمال عقله.[3]

فالعقلانيّة الإسلاميّة نابعة من الدّين، والكتاب المؤسس لها هو: القرآن الكريم، ورسالتها: الانتصار للإسلام.[4]

قال ابن تيمية: "العقل شرط في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم، والعمل، لكنّه ليس مستقلاً بذلك بل هو غريزة في النّفس، وقوّة فيها بمنزلة قوة البصر الّتي في العين، فإن اتّصل به نور الإيمان، والقرآن كان كنور العين إذا اتّصل به نور الشّمس، والنّار، وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور الّتي يعجز وحده عن دركها".[5]

---

[1] انظر: عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. 1مج. ط2. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (ص:469،468).

[2] انظر: القرضاوي، يوسف: العقل والعلم في القرآن الكريم. 1مج. ط1. القاهرة: مكتبة وهبة 1416هـ، (ص:13، 22، 249).

[3] انظر: العقّاد، عباس محمود، (ت: 1383هـ): التّفكير فريضة إسلامية. 1مج. ط1. مصر: شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتّوزيع 1427هـ، (ص:3).

[4] انظر: عمارة، محمد، (ت: 1441هـ): مقام العقل في الإسلام. 1مج. ط1. مصر: شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع 1429هـ، (ص:8).

[5] ابن تيمية، تقي الدين، (ت: 728هـ): مجموع الفتاوى. 35مج. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف 1416هـ، (3/339،338).

فالإيمان بالله كما قال القرضاوي: ضرورة عقليّة، وغريزة فطريّة.[1]

وقال الرّاغب: "لله عز وجل في خلقه رسولان: من الباطن –وهو العقل–، ومن الظّاهر –وهو الرّسول. ولا سبيل لأحد إلى الانتفاع بالرّسول الظّاهر، ما لم يتقدمه الانتفاع بالباطن. فالباطن يعرف صحّة دعوى الظّاهر، ولولاه لما كانت تلزم الحجّة بقوله، لهذا أحال الله من يشكّك في وحدانيّته، وصحّة نبوّة أنبيائه على العقل، فأمره بأن يفزع إليه في معرفة صحّتها. فالعقل: قائد، والدّين: مَدد. ولو لم يكن العقل: لم يكن الدّين باقيًا. ولو لم يكن الدّين: لأصبح العقل حائرًا. واجتماعهما كما قال تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۚ ﴿٣٥﴾﴾[النور: 35]".[2]

وقد بيّن القرضاوي أنّ المراد بالنّور في هذه الآية: نور الوحي، والنّبوة، ونور العقل، والفطرة.[3]

إنّ الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وإفراده بالألوهيّة، والعبوديّة، والأسماء، والصّفات، يجعل من صاحبه إنسانًا صاحب شخصيّة عاقلة تَحتَكِم إلى قواعد كليّة وضوابط شرعيّة، وذات مقياس سلوكيّ واضح، وسليم، حيث لا يقدِم على أيّ عمل يُغضب الله، ويعود ذلك إلى قيامه بقياس أقواله، وأفعاله، وتصرفاته المختلفة بميزان الشّريعة، فيكون بذلك فردًا إيجابيًّا فعّالاً في مجتمعه، وفي تعامله مع غيره؛ نظرًا لأنّ مخافة الله عزّ وجلّ لديه فوق أيّ اعتبار آخر.

وقد بيّن محمد عمارة أنّ هناك 267 آية استخدمت المنطق العقلانيّ (بمصطلحات مختلفة) في المخاطبة، والمحاورة، والاستدلال، والاقناع.[4]

---

[1] انظر: القرضاوي، يوسف: محاضرة العقلانية في الإسلام. برنامج: الشريعة والحياة. رابط الحلقة: https://2u.pw/RcFVIN

[2] الأصفهاني، الراغب، (ت: 502هـ): الذّريعة إلى مكارم الشريعة. 1مج. تحقيق: أبو اليزيد أبو زيد العجمي. القاهرة: دار السلام 1428هـ، (157-158).

[3] انظر: القرضاوي: محاضرة العقلانية في الإسلام. رابط الحلقة: https://2u.pw/RcFVIN

[4] انظر: عمارة: مقام العقل في الإسلام. (ص:12)

منها:

اللب الّذي يخاطبه القرآن وظيفته عقلية، تُحيط بالعقل الوازع –الّذي يَحول بين صاحبه، وبين ما يشتهيه على أساس أخلاقي–، وبالعقل المُدرك، وبالعقل الّذي يتلقى الحكمة، ويتّعظ بالذّكر، والذّكرى. أمّا العقل الّذي يفكر، ويستخلص من تفكيره زبدة الرّأي، فالقرآن يعبّر عنه بعدّة كلمات تشترك في المعنى، منها: النّظر، والبصر، والفكر، والتّدبر، والاعتبار، والذّكر، والعلم.[1]

مثل قوله تعالى في سورة النّمل: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٦٩﴾[النّمل: 69].

وقد بيّن القرضاوي أنّ المراد بالنّظر في هذه الآية: النّظر العقليّ لا البصريّ.[2]

بناءً على ما تقدّم، يمكن القول: إنّ الجانب العقليّ يمثّل معالجة الأفكار لدى الشّخص، وكيفيّة تعامله مع المعلومات، والمؤثّرات الخارجيّة، أمّا بناء الجانب العقليّ في الشّخصيّة فيُقصَد به: بناء العقليّة البرهانيّة العلميّة الّتي تقوم على التّفكّر، والعلم، وإعمال العقل، والّتي تؤدّي بدورها إلى الإيمان بإله، وخالق واحد من خلال الأدلّة، والبراهين، والسّنن الكونيّة.

ثانيًا: المنهجيّة العقديّة القرآنيّة، وأهميتها في بناء العقل، والتّعقل

أعطى القرآن الكريم العقل دورًا مهمّا لكن تحت سقف النّقل. فالعقل يفهم القرآن، والقرآن يسدّده ويرشده ويضبط حركته. وتبرز أهميّة المنهجيّة العقديّة القرآنيّة في بناء الجانب العقديّ من خلال:

1. إسقاط معوّقات العقل من خرافات، وأوهام، وتقليد أعمى للآباء، والأجداد، والأساطير الّتي تجعل العقل مؤطَّرًا في إطار هذا الرُّكام ويتحرّك ضمنه.

[1] انظر: العقّاد: التّفكير فريضة إسلامية. (ص:3+7–8).

[2] انظر: القرضاوي: محاضرة العقلانية في الإسلام. رابط الحلقة: https://2u.pw/RcFVIN

إنّ هذا الإسقاط يبني شخصيّة عاقلة، متحرّرة من سيطرة المادّة، والخرافة. ومن الأدلّة على ذلك في سورة النّمل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١٣ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤﴾[النّمل: 13-14]، ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ٤٧﴾[النّمل: 47]، ﴿لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٦٨ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾[النّمل:68-69].

ومن الأدلّة على تحذير القرآن من خطور التّقليد الأعمى قوله تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ٤٣﴾[النّمل: 43]، فالتّقليد الأعمى الّذي لا يقوم على نظر، واستدلال، وتفكير؛ كانت ثمرته: الكفر، والضّلال. قال ابن الجوزي: "وفي التّقليد إبطال منفعة العقل؛ لأنّه إنّما خُلِقَ للتّأمُّل، والتّدبُّر، وقبيحٌ بِمَن أُعطِيَ شمعة يستضيءُ بِهَا أن يطفئها ويمشي فِي الظّلمة!".[1]

2. قراءة وتأمّل كتاب الله المسطور، والمنظور

يبدأ العقل بتعقّل الأشياء، وإدراكها، ودخولها في منطقة الوعي، ثمّ استرجاع المعلومة (التّذكر) وظيفة أخرى، ثمّ (العبرة) أن تنقل الفائدة من صفة التّاريخ إلى صفة الواقع، ثمّ (استنباط) قوانين الكون واكتشافها، ثمّ تسخيرها.

وأُمِرنا أن نُفعّل قنوات هذا العقل -النّوافذ الّتي تطلّ على الكون-، مِن: سَمعٍ، وبصرٍ، وفؤاد؛ فنكتشف بهذا: السّنن الموجودة في القرآن، وقوانين الكون.[2]

[1] ابن الجوزي، عبد الرحمن، (ت: 597هـ): تلبيس إبليس. 1مج. ط1. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر 1421هـ، (ص:74).

[2] انظر: نوفل، أحمد: محاضرة العقل القرآني. برنامج: الشريعة والحياة. رابط الحلقة: https://2u.pw/OG0nfZ

وقد بيّن القرضاوي أنّ: التذكُّر من عمليات العقل العُليا، وفرّق بينه، وبين التّفكّر بقوله: إنّ التّذكُّر يعمل لجلب معرفة قديمة غشيتها الغفلة، والنّسيان، (والغفلة شرّ داء يُصيب الإنسان؛ فيُذهله عن الحقائق الكبرى)، بينما التّفكُّر: يعمل لتحصيل معرفة جديدة.[1]

هذا التّأمُّل يبني شخصيّة متفكّرة، واسعة الأُفق، والإدراك. ومن الأدلّة على ذلك قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾[النّمل: 60-64].

ثالثًا: آثار تفعيل طاقة العقل

بيّن محمد عمارة أنّ: العقل هو ينبوع اليقين في الإيمان بالله، وعلمه، وقدرته، والتّصديق بالرّسالة. وهو منبع العلم، ومطلعه، وأساسه، فالعلم يجري منه مجرى الثّمرة من الشّجرة، والنّور من الشّمس، والرّؤية من العين. فكيف لا يشرّف وهو وسيلة للسّعادة في الدّارين؟![2]

[1] انظر: القرضاوي: العقل والعلم في القرآن الكريم. (ص:52).

[2] انظر: عمارة: مقام العقل في الإسلام. (ص:96،52).

ومن آثار تفعيل طاقة العقل على الفرد

أولا: إثبات حقائق الدِّين الكبرى

كإثبات النّبوة –الوحي–، فهو ممكن عقلاً، وواقع فعلاً، فدلالة المعجزة على صدق الرّسول دلالة عقليّة.[1]

فإذا تمّ عقل المؤمن عن ربّه، أفرده عزّ وجلّ بالتّوحيد له في كل المعاني. وعلم أنّه مالك له لا غيره، وأنّه عتيق ممّا سواه، فتواضع لعظمته، وخضع لجلاله، ولم يذل لمن سواه، وعقل عنه أنّه الكامل بأحسن الصفات، المتنزّه من كلّ الآفات، المنعم بكلّ الأيادي والإحسان، فاشتدّ حبّه له، وعَقِل عنه أنّه لا يملك نفعه، وضرّه في دنياه وآخرته إلاّ هو، فيؤمن به ويفرده بالخوف والرّجاء وحده لا شريك له.[2]

ثانيًا: الإكثار من ذكر الله تعالى، والازياد في العلم.

بيّن محمّد عمارة أنّه: لا غِناء بالعبد عن النّظر، والتّفكير، والذّكر؛ ليزيد في علمه، ويكثر اعتباره، ويعلو في الفضل. فمن قلّ تفكّره؛ قلّ اعتباره. ومن قلّ اعتباره؛ قلّ علمه، ومن قلّ علمه؛ كثُرَ جهله وبانَ نقصه، ولم يجد بَرد اليقين، ولا طعم البِرّ، ولا روح الحكمة.[3]

ثالثًا: التّأهيل لحمل رسالة الدِّين.[4]

رابعًا: العقل، والمنطق السّلاح الأوّل، والأكثر فعاليّة في نشر الإسلام، والدّفاع عن عقائده.

وقد بيّن القرضاوي أنّ ما جاء به القرآن هو: تكوين هذه العقليّة العلميّة الّتي تتمرّد على الخرافات، وترفض الأوهام، وتتّبع الحقائق. وتكوين هذه العقليّة العمليّة هي الّتي تصنع: أمّة مبصرة، وأمّة لها قيمتها تتبوّأ مكانتها تحت الشّمس.[5]

---

[1] انظر: القرضاوي: محاضرة العقلانية في الإسلام. رابط الحلقة: https://2u.pw/RcFVIN

[2] انظر: عمارة: مقام العقل في الإسلام. (ص:77).

[3] انظر: المرجع السّابق. (ص:84).

[4] انظر: نوفل: محاضرة العقل القرآني. رابط الحلقة: https://www.youtube.com/watch?v=a63Ws2zEmtU

[5] انظر: القرضاوي: محاضرة العقلانية في الإسلام. رابط الحلقة: https://2u.pw/RcFVIN

يتبيّن ممّا سبق أنّ هناك:

أولاً: تلازم بين التّقدم الرّوحيّ، والنّشاط الفكريّ، فلم تكن وظيفة الإسلام أن يُخلّص النّاس من رواسب الجاهليّة (عقائدها، وتصوّراتها، وقيمها، وتقاليدها) فحسب، وإنّما أن يُغيّر أيضًا من منهج تفكيرهم عن طريق منهج تفكير ربّاني يصل بهم إلى الحياة الرّبّانيّة.

ثانيًا: العقيدة الإسلاميّة تؤدّي إلى استقامة التّفكير، والّذي يؤدّي بدوره إلى يقظة في الشّعور، والإنسان المرتبط بها يشعر بنعمة الوجود؛ لأنّه يدري دراية مطمئنّة من أين جاء، وإلى أين يصير، وبدونها تتحوّل الطاعات لعادات يقودها عقل غائب يُفضي إلى غفلة شعوريّة.

ثالثًا: ما يُلاحظ من صدأ عقليّ، وكسل ذهنيّ للفكر الإنسانيّ، وإضعاف لثماره عند بعض المتديّنين هو تديّن معلول مرفوض يفضح علل شخصيّة، أو بيئات متأخّرة لا علاقة له بالدّين القويم. لذلك يجب إثارة العقل، والضّمير وضبطهما في ضوء أشعة الوحي ومعالم النبوّة.

المطلب الثّاني: دور الإيمان بصفة قدرة الله تعالى المطلقة في بناء الإيمان العقليّ اليقينيّ في الشّخصيّة

إنّ الحضارة في عصور ازدهارها، وقربها من منابعها كانت تلمع فيها صبغة التّجرد للحقّ، والبحث عن اليقين، وهذا كان يخلُق الإيمان البصير الّذي ينمو، ويقوى بالتّأمل في الكون، ومطالعة آياته، والتّعرّف على خفاياه. قال الغزالي: "عظمة الإيمان تعتمد ابتداءً على فقه آيات الكون، يقف المرء على أسرار الإبداع الأعلى، ويشعره بما يستحقه الخالق الكبير من مجد، وحمد".[1]

فهذا التأليف المُحكم المتقن للكون قاطع بأنّه وليد إشراف أعلى، وإرادة واحدة، وهو بذاته مُلجِئ إلى الإقرار بوجود الخالق الواحد الّذي تتضح وحدانيته بآثاره. ففي كل شيء آية تدلّ على الله تنفي الرّيبة وتورث اليقين بالله. فالإيمان ضرورة عقليّة، وفطريّة لا مَحيص عن التّسليم بها، وبما يتبعها من عمل، وارتضاء لأحكام الدين وآدابه، والزّعم أنّ العالَم نشأ من تلقاء نفسه هو جهل لم تنقشع ظلمته عن طائفة من النّاس!

[1] الغزالي، ركائز الإيمان بين العقل والقلب، 1مج. القاهرة: دار الاعتصام 1399هـ، (ص:23).

والعقيدة الإسلاميّة تحرص أشدّ الحرص على أنْ تكون قضايا الإيمان راسخة يقينيّة في الشّخصيّة المؤمنة، لا تزعزها الشّهوات، ولا الشّبهات، ولا تُضعفها الشّدائد، والمحن؛ وذلك من خلال الأمر بالتّفكر في مظاهر قدرة الله تعالى في الكون، فهو الوسيلة المهمّة في تحقيق هذا الإيمان العقليّ، والقلبيّ اليقينيّ، وسأبيّن فيما يأتي مظاهر قدرة الله تعالى في سورة النّمل الّتي أُمِرنا بالتّفكّر بها؛ لِما تحقّق لنا من بناء للعقليّة الإيمانيّة اليقينيّة في الشّخصيّة:

أولا: التّفكّر بقدرة الله تعالى في خلق السّماوات، وإنزال الماء منها، وخلق الأرض، وإنبات النّبات فيها

إنّ مجرد التّذكير بقدرة الله في خلق السّماوات، والأرض، والتّوجيه إلى التّفكير فيمن خلقها كفيل بدحض الشّرك، وإلزام الحجّة، وإفحام المشركين.[1]

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾[النّمل: 60].

قال ابن كثير: "كلمة (أَمَّن) في هذه الآيات كلها تقديرها: أمّن يفعل هذه الأشياء كمن لا يقدر على شيءٍ منها؟ هَذَا مَعْنَى السِّيَاقِ وَإِنْ لَمْ يُذْكَرِ الآخَرُ؛ لأَنَّ فِي قُوَّةِ الْكَلامِ مَا يُرْشِدُ إِلَى ذَلِكَ، وَقَدْ قَالَ: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾".[2]

وقال تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾[النّمل: 61].

[1] انظر: سيّد قطب: في ظلال القرآن. (2656/5).

[2] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. (202/6).

وقد بيّن الماتريدي أنّه نفى عنهم العلم لتركهم الانتفاع به، فمَن لا ينتفع بما يعلم فكأنّه جاهل، كما نفى عنهم اللسان، والعقل، والسّمع، والبصر؛ لتركهم الانتفاع بهذه الجوارح والحواس، وإن كانت لهم هذه الجوارح؛ فعلى ذلك جائز نفي العلم عنهم لتركهم الانتفاع به.[1]

قال القرطبي: "أي إِذَا ثَبَتَ أَنَّهُ لا يَقْدِرُ عَلَى هَذَا غَيْرُهُ فَلِمَ يَعْبُدُونَ مَا لا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ. {بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} يَعْنِي كَأَنَّهُمْ يَجْهَلُونَ اللَّهَ فَلا يَعْلَمُونَ مَا يجب له من الوحدانية".[2]

ثانيًا: التّفكر بقدرة الله تعالى على التّصرُّف في أحوال النّاس، وتدبير أمورهم

قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾[النّمل: 62].

بيّن القرطبيّ أنّ الله عزّ وجلّ ضَمِنَ إجابة المضطرّ إذا دعاه، وأخبر بذلك عن نفسه، ويعود ذلك إلى أنّ الضّرورة المُلجِئَة لله سبحانه تنشأ عن إخلاص، وقطع القلب عمّا سوى الله، وللإخلاص عند الله موقِعٌ وذمّة. وقوله تعالى: {أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ} عَلَى جِهَةِ التَّوْبِيخِ.[3]

وقال تعالى: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾[النّمل: 63].

ويبيّن ابن عاشور أنّ الله سبحانه وتعالى انتقل من بيان نوع دلائل التّصرُّف في أحوال عامة النّاس إلى دلائل التّصرُّف في أحوال المسافرين منهم في البرّ، والبحر، فهؤلاء أدرى بهذه الأحوال وأقدر لِما في

---

[1] انظر: الماتريدي، محمد بن محمد، (ت:333هـ): تفسير الماتريدي. 10مج. تحقيق: د. مجدي باسلوم. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية 1426هـ، (127/8).

[2] القرطبي، محمد بن أحمد، (ت: 671هـ): الجامع لأحكام القرآن. 20ج-10مج. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط2. القاهرة: دار الكتب المصرية 1348هـ، (222/13).

[3] انظر: المرجع السّابق. (223،224/13).

خلالها من النّعمة، والامتنان. فَاللَّهُ هو الهادي لِلسَّيْرِ في تلك الظّلمات بأن خلَقَ النّجوم على نظام صالح للهداية في ذلك، وبأن ركَّب في النّاس مدارك للمعرفة بإرصاد سيرها، وصعودها، وهبوطها، وهداهم أيضا بمهابِّ الرّياح، وَخَوَّلَهُم معرفة اختلافها بإحساس جفافها، ورطوبتها، وحرارتها، وبردها. وبهذه المناسبة أُدمج الامتنان بفوائد الرّياح في إثارة السّحاب الّذي به المطر، وهو الْمَعْنِيُّ برحمة الله. وَذُيِّلَ هذا الدّليل بتنزيه اللَّهِ تعالى عن إشراكهم معه آلهة؛ لأنّ هذا خاتمة الاستدلال عليهم بما لا يُنازعون في أنّه من تَصَرُّفِ الله فَجِيءَ بعده بالتّنزيه عن الشّرك كلّه، وذلك تصريح بما أشارت إليه التّذييلات السّابقة.[1]

ثالثًا: التّفكر بقدرة الله تعالى على الإحياء، وعلم الغيب

قال تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾[النّمل: 64].

وقد بيّن الرازي: أنّ قوله تعالى:"{أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ} هو إنكار لِمَا هم عليه، ثمَّ بَيَّنَ بقوله: {قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ} أَنْ لا برهان لكم؛ فإذَنْ هم مبطلون، وهذا يَدُلُّ على أنّه لا بُدّ في الدّعوى من فسد التّقليد، فإن قيل كيف؟ قيل لهم: {أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ} وهم منكرون للإعادة؟ جوابه: كانوا معترفين بالابتداء، ودلالة الابتداء على الإعادة دلالة ظاهرة قويّة، فلمّا كان الكلام مقرونًا بالدّلالة الظّاهرة صاروا كأنّهم لم يبق لهم عذر في الإنكار، وها هنا آخر الدّلائل المذكورة على كمال قدرة الله تعالى".[2]

بهذه الآيات وبغيرها تقرّرت فريضة التّفكير في الإسلام، وتبيّن منها أنّ العقل الّذي يخاطبه الإسلام هو الّذي يتبصّر، ويتدبّر، ويحسن الادكار، ويعصم الضّمير، ويدرك الحقائق، ويميّز بين الأمور، ويوازن بين الأضداد، وأنّه هو العقل الّذي يقابله الجمود، والعنت، والضّلال.[3]

إنّك تستطيع أن ترى الله، وقدرته، ومجده، وقيّوميّته، وإبداعه في كلّ شيء.

---

[1] انظر: ابن عاشور: التّحرير والتّنوير. (16،17/20).

[2] الرازي، محمد بن عمر، (ت: 606هـ): مفاتيح الغيب. 32مج. ط3. بيروت: دار إحياء التراث العربي 1420هـ، (567/24).

[3] انظر: العقّاد: التفكير فريضة إسلامية. (ص:11).

إنّ الله من وراء ثلاثة آلاف مليون عقل يجري فيه تيار الفكر بطيئًا أو قويًّا. ومن وراء ثلاثة آلاف مليون قلب يجيش بالرّضا، أو الفرح، أو القلق، أو الحزن، أو اليأس، أو الرّجاء. ومن وراء ثلاثة آلاف مليون جسد تغلي الحياة فيه، ويجري الدّم في عروقه. ما أكثر هؤلاء! هم، وأصولهم الّتي انحدروا منها، وفروعهم الّتي تنشأ عنهم إلى ما شاء الله! ومع ذلك فالله من ورائهم محيط، ولأمورهم مدبّر، وفوقهم قاهر، وعليهم قيّوم. هم، وعوالم الأحياء الأخرى القابعة في البرّ، والبحر، والمنتشرة في ملكوت نجهل منه أكثر ممّا نعرف. فهل بعد كل هذا يضعف الإحساس بالخالق، ويقوى الإحساس بالمخلوق؟![1]

من خلال ما تقدّم أقول: إنَّ العقيدة الإسلاميّة حريصة أشد الحرص على بناء إيمان عقليّ، وقلبيّ راسخ في الشّخصيّة الإسلاميّة، ومن أهمّ سبل تحقيق ذلك؛ الأمر بالتّفكر في مظاهر قدرة الله تعالى في هذا الكون الفسيح. ومن هنا ندرك أهميّة تكرار الاستفهام الإنكاري في قوله تعالى: {أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ} الّتي وردت 5 مرات في سورة النّمل؛ لأنّ الّذي يعلم، أو يؤمن أنّ الله سبحانه وتعالى هو وحده المُتفرّد بجعل الأرض قرارًا، وجعل خلالها أنهارًا، والّذي يجيب دعوة المضطر...، لا يقبل لعقله أن يعبد آلهة أخرى مع الله! ومن هنا تبرز أهميّة دور الإيمان بصفة قدرة الله تعالى المطلقة في بناء الإيمان العقليّ اليقينيّ في الشّخصيّة.

فإذا استجاب المسلمون لله، ولرسوله صلّى الله عليه وسلّم، في استشفاف آفاق الكون، وفهمه، وتأمّله وتتّبع آثاره: انفتحت أقفال قلوبهم، وانفسحت أرجاؤهم، وأشرق معنى الحبّ في جوانبهم، وأطرد تقدمهم في سائر العلوم، ولأَعلوا بذلك كلّه راية الإسلام.

[1] انظر: الغزالي: ركائز الإيمان بين العقل والقلب. (ص:129).

المطلب الثّالث: دور الإيمان بالغيب، والتفكّر في مصائر الأمم الغابرة في بناء الشّخصيّة الصّابرة الواثقة بنصر الله

إنّ المؤمنين لا تثنيهم كآبة الحاضر، ولا ضراوة الخصوم، ولا وُعثاء الطّريق عن الجهاد؛ لإيمانهم بوعد الله المرتقب بالنّصر.

وقد بيّن الغزالي أنّه: كلّما ازداد الإيمان بالغيب، وازداد التّفكّر بمصائر الأُمم الغابرة من المكذِّبين والكافرين: فإنّ أصحاب الحقّ منتصرون بمبادئهم حتمًا، وناشروها في الحياة الدّنيا نشرًا لا يدركه طيّ. والمستقبل الّذي تنتصر فيه الرّسالة، وينتصف فيه أصحابها يتكوّن من جزئين: أحدهما قريب، وهو في هذه الدُّنيا على أرض الميدان الّذي تدور فيه المعارك، والآخر بعيد وهو عند الديّان مالك يوم الدين.[1]

وقد بيّن القرضاوي: أنّ من مقوّمات العقليّة العلميّة الّتي يُنشئها القرآن الكريم، أنّها عقليّة تقوم على النّظر (التعبُّد بالنظر العقليّ: الّذي يستخدم الإنسان فيه فكره في التأمّل، والاعتبار) والتّفكُّر؛ فالنّظر عندها فريضة، والتّفكُّر لديها عبادة. ولم يكن النّظر مقصورًا على الأشياء، بل تعدّاها إلى الأحداث، والسُّنن الّتي تدلّ عليها، مثل: سنن الله في عقوبات المكذِّبين.[2]

وقد تكرّر معنى الحثّ على السَّير في الأرض، والنّظر في سيرة الأوّلين ومسيرتهم، وكيف نفذت فيهم سنن الله الّتي لا تتخلّف رغم ما كان لديهم من كثرة العدد، وقوّة العتاد! المهم أن يمرّوا على آثار القوم: بعقول تُفكِّر، لا بمجرد أعين تُبصِر!

قال تعالى في سورة النّمل: ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥١ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٥٢﴾[النّمل: 51-52].،

[1] انظر: الغزالي: ركائز الإيمان بين العقل والقلب. (ص:98).

[2] انظر: القرضاوي: العقل والعلم في القرآن الكريم. (ص: 258، 261، 279).

﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ٥٨﴾[النّمل: 58]، ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٦٩﴾[النّمل: 69]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبۡتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمۡ تُحِيطُواْ بِهَا عِلۡمًا أَمَّاذَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨٤ وَوَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ ٨٥﴾[النّمل: 84-85].

وقد فسّر الطّبري قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبۡتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمۡ تُحِيطُواْ بِهَا عِلۡمًا أَمَّاذَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨٤ وَوَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ ٨٥﴾[النّمل: 84، 85].

أي: حتّى إذا جاء من كلّ أُمّة فوج ممّن يُكذّب بآياتنا فاجتمعوا، قال الله عزّ وجلّ لهم: {أَكَذَّبۡتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمۡ تُحِيطُواْ بِهَا عِلۡمًا} أي: أكذّبتم بأدلتي، وحججي، ولم تعرفوها حقّ معرفتها، {أَمَّاذَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ} فيها من تكذيب، أو تصديق. {وَوَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ} فوجب السّخط، والغضب من الله عليهم لتكذيبهم بآيات الله يوم يحشرون؛ فهم لا ينطقون بحجّة يدفعون بها عن أنفسهم عظيم ما حلّ بهم.[1]

إنّ هذه السّنن لها صفة الثّبات، والدّوام، فهي تجري على الآخرين كما جرت على الأوّلين، وتعمل في عصر سفن الفضاء، عملها في عصر الجمل سفينة الصحراء.[2]

يتبيّن ممّا سبق أهميّة دور العقيدة الإسلاميّة في بناء شخصيّة مسلمة صابرة على الأذى، والظّلم، في سبيل عقيدتها، ودينها، شخصيّة تثق بوعد الله، ونصره مهما طال؛ وذلك من خلال التّفكُّر والتّأمّل بمصير الأمم الغابرة الظّالمة الّتي أهلكها الله تعالى على مرّ العصور، وكيف نجّى عباده المؤمنين الصّابرين.

[1] انظر: الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن. (501/19).

[2] انظر: القرضاوي: العقل والعلم في القرآن الكريم. (ص:279).

المبحث الثّاني: دور العقيدة الإسلاميّة في بناء الجانب العاطفيّ في الشّخصيّة

المسلم الكامل هو إنسان حادّ البصر، والبصيرة، نيّر الذّهن، والقلب، تتعانق فكرته، وعاطفته في علاقته مع الله، ومعاملته للنّاس. وتتمثّل قيمته في: صِدق أدبه، وحُسن معرفته، وخصوبة نفسه الجيّاشة، وفطانة عقله اللماح، وأفكاره السّامية الّتي تكّون نفسه، وعمله، وحياته الخارجيّة كما هي حياته الدّاخليّة. فلعاطفته، كما لفكره، الأثر البالغ في بناء الشّخصيّة، وهذا ما سأبيّنه في المطالب الآتية.

المطلب الأوّل: أهميّة بناء الجانب العاطفيّ في الشّخصيّة

لا بدّ قبل بيان أهميّة بناء الجانب العاطفيّ في الشّخصيّة من بيان مكانة العاطفة في الإسلام.

مكانة العاطفة في الإسلام

الشّريعة هي إصلاح للظّاهر، والباطن معًا، والدِّين ليس أحكامًا جافّة، وأوامر لا روح فيها، إنمّا هو دين عبادة يقوم على سلامة القلب، وشحنه بالإخلاص، والمحبّة، وتجريده من الهوى، والأثرة. فهو كما بيّن الغزالي: إحساس بالوجود الإلهيّ الّذي يروي ظمأ الرّوح إلى الرّضا، والتّسامي، إلى جانب جُملة المَعارف الّتي يُصدّقها العقل بعد أن يستبين صحّتها.[1] إنّه السّعادة، والأُنس الدائم بالله عزّ وجلّ الّذي يَصبغ وجدان المسلم، وحياته كلّها بمعرفته تعالى، وملاحظة صفاته، ومتابعة آثاره، والّتي تجعل صاحبها في واحات روحيّة مُزهرة على درب الحياة الطويل، مُزدانًا بمعيّة الله سبحانه وتعالى بالغدوّ، والآصال. ومن هذا الإيمان الرّاسخ ينتج العمل الصّحيح، والخُلُق الكريم، ويولَد مقام الإحسان الّذي هو عنوان الجَمال في دين الإسلام. لذلك، لا يجب الاستهانة بآفات القلوب، وفراغها من حرارة الإقبال على الله.

وقد بيّن القرضاوي أنّ: الإنسان ليس عقلاً فقط، وليس إرادة فحسب، بل هو كذلك عاطفة، وشعور.

والعاطفة، أو الوجدان، أو الانفعال، أو الشّعور: هو جزء من كيان الإنسان النّفسيّ.

[1] انظر: الغزالي: ركائز الإيمان بين العقل والقلب. (ص: 109).

وكان العرب يعبّرون قديمًا عن العاطفة: بالقلب، فهو الّذي يرضى، ويغضب، ويحبّ، ويكره، ويفرح، ويحزن، ويرغب، ويرهب. وما جاء في القرآن، والسّنّة في شأن العواطف، والوجدانات، أو الانفعالات النفسيّة لا يسلَم منها إنسان حتّى الأنبياء أنفسهم فهم يرجون، ويخافون، ويفرحون ويحزنون، ويضحكون، ويبكون، ويرضون، ويغضبون. فالعاطفة ضرورة في حياة البشر، وما ننكره منها هو: تغليبها على عقل الإنسان؛ فتؤثر على صواب إدراكه، وتحرفه عن طريق السّداد. فالّذي يتّبع عواطفه، ويسير وراءها حيثما وجهته، إنّما يتّبع هواه، واتباع الهوى يُعمي ويصمّ ويضلّ عن الطّريق المستقيم! فالواجب على الإنسان أن يُحكّم عقله في عواطفه، وانفعالاته لا العكس.[1]

بناءً على ما تقدّم، أستطيع القول: إنّ العاطفة هي جزء من كيان الإنسان الّذي فطره الله سبحانه وتعالى عليه. ويدور معناها حول شعور الشّخص بانفعالات وجدانية مليئة بالحُنُوّ، والشّفقة، والرّقّة. ويمكن القول بأنّ بناء الجانب العاطفيّ في الشّخصيّة يُقصَد به: إصلاح باطن الشّخصيّة؛ وذلك بتحريرها من آفات، وأمراض القلوب كالحسد، والكبر؛ لِما في ذلك من أثر كبير على استقامة السّلوك، والإقبال على الله سبحانه وتعالى بحبّ، وعبادته على بصيرة، وهذه الثمرة نصل إليها بإشراك العقليّة البُرهانيّة مع العاطفة دون تغليب جانب على آخر.

وقد بيّن الغزالي أنّ: الأعمال الظّاهرة من عبادة، ومعاملة لا تَكمُل وتَصدُق إلاّ إذا اتسقت وراءها المعاني الباطنة، وتخلّلت مسالك الفؤاد.[2]

[1] انظر: القرضاوي: الصحوة الإسلاميّة من المراهقة إلى الرشد. (ص:84-86).

[2] انظر: الغزالي، محمد، (ت: 1416هـ): الجانب العاطفي في الإسلام. 1مج. ط1. الإسكندرية: دار الدعوة 1410هـ، (ص: 10).

تبرز أهميّة الجانب العاطفيّ في الإسلام بأمور، منها:

أولاً: في ظلّ هذا القحط الرّوحي الّذي يسود أرجاء الأرض، يتلوّى العالم من الفراغ الرّوحيّ الرّهيب الّذي أسعر في جنباته نوازع الجشع، والتّظالم، وشفاء العالم من سقامه مرتبط بإحسان البناء الدّاخليّ للنّفوس، وبعودة الإيمان إلى القلوب الفارغة.[1]

ثانيًا: إنّ الإحساس بالحضور الإلهيّ له نتائجه من رغبة، ورهبة. وأهل الإيمان يتفاوتون في مضمار العبادة، فمثلاً، إنّ أسوأ ما يعتري الفرائض أن تُؤدّى في شبه غيبوبة، بحيث لا يَعقل من يقوم بها معانيها، ولا يُحصّل حكمتها، ولا يستشعر جلال من يقف أمامه! فتشعر عند الكثير من المصلّين تلك الفجوة بين جلال ما يقال، وفساد من يقول! ولكن ما يسأم منه البعض قد يستلذّه آخرون! فإنّ الحبّ الإلهيّ يجتذب بعض أولي الألباب، فيشغلهم عن ذاتهم، وينتقل بهم من مآرب الأرض إلى أشواق السّماء.[2]

ثالثًا: درجة المرء تزيد، أو تنقص على قدر: ألق فكره، وحضور قلبه، وأدب جوارحه.[3] ودينه ينقص بقدر ما يصحب عاطفته الحارّة من نقص علميّ، أو عجز فكري. فالعقل للإيمان: كالبصر للسّائر. فيجب إذًا أن يَصحب العاطفة تفصيل صحيح، وعمل تامّ لأصول، وفروع الإسلام. وصِدق العاطفة ليس عذرًا للخلط العلميّ، أو القول في دين الله بالهوى، والرّأي، فإنّ للإسلام ينابيع محصورة تُؤخذ أحكامه منها وحدها.[4]

إنّ حياة القلب ونعيمه يكون بالتّعلّق بخالقه سبحانه وتعالى، والاستجابة له، ولرسوله صلّى الله عليه وسلّم، الّذي ارتكزت دعوته على عقيدة تُحيي القلوب، والعقول، وتُطلِقها من أوهام الجهل، والخرافة وعبوديّة غير الله سبحانه وتعالى. وسأذكر فيما يلي أهم مفاتيح حياة القلب:

---

[1] انظر: الغزالي: ركائز الإيمان بين العقل والقلب. (27-29).

[2] انظر: الغزالي: ركائز الإيمان بين العقل والقلب. (ص: 115، 116، 124، 133).

[3] انظر: المرجع السّابق. (ص: 90).

[4] انظر: الغزالي: الجانب العاطفي من الإسلام. (ص:13-14).

أولا: تدبّر القرآن الكريم

الّذي هو مَنبع الجَمال الحقّ، ومصدر النّور الأعلى، وأساس حياة القلب. قال تعالى: ﴿هُدَى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢﴾[النّمل: 2]، ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٧٧﴾[النّمل: 77].

فالقرآن ينقل الإيمان من ميدان التّصوّرات النّظريّة إلى ميدان الشعور الحيّ المأنوس الواقع. وخير النّاس من تنجح مجاهداته في صيانة عمله جوهرًا ومظهرًا، وأعجزهم من استغفله الشّيطان، وشتّت لبّه كلّما تقرّب لله بعمل.

ثانيًا: التّفكّر في الكون

الّذي يتنفس الحياة، وينبض بالحُسن المُتجدد بما فيه من مخلوقات، وتجلّيات روحانيّة خارقة لا تنتهي استعراضاتها أبدًا، امتدادًا من عالم الغيب إلى عالم الشّهادة.

وما هذا إلا انعكاس لقدرة الله سبحانه وتعالى، وقيّوميّته، وربوبيّته، وأنوار أسمائه الحسنى وصفاته العُلى. قال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٨٦﴾[النّمل: 86]، وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ٨٨﴾[النّمل: 88].

3. اليقين هو بصيرة القلب

قال إبراهيم السّكران: "القلب كلّما ارتفع في مدارج اليقين: زادت قدرته على مشاهدة المَعالم الجماليّة لمملكة أحكام الشّريعة".[1]

[1] السّكران، إبراهيم عمر: رقائق القرآن. 1مج. ط3. الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع 1435هـ، (ص:156).

المطلب الثّاني: دور عقيدة التّوحيد في تحقيق خُلُق الشّكر لله تعالى

تُعدُّ عقيدة التّوحيد مفتاح بناء الشّخصيّة الإسلاميّة؛ وذلك لدورها المؤثّر في تقويمها، وتهذيبها، ومن أهمّ الأمور الّتي تغرسها فيها: الشُّكر، وسأبيّن فيما يأتي دور عقيدة التّوحيد في بناء الشّخصيّة الشّاكرة لله تعالى:

بيّنت لنا سورة النّمل دور عقيدة التّوحيد في تحقيق خُلُق الشُّكر لله سبحانه وتعالى من خلال استعراض قصّة سيّدنا داوود، وسليمان عليهما السّلام، وما أفاض الله عليهما من النّعم الّتي تستحقّ أن تدأب نفس الإنسان المؤمن الموحّد في أداء شكره تعالى. وهذا ما سأوضحه فيما يلي:

1. قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥﴾[النّمل: 15].

بيّن البغوي: أنّ العلم الّذي آتاه الله لهما هو: تسبيح الجبال، وعلم القضاء، وتسخير الشّياطين، ومنطق الطّير والدّواب. {وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ} بالكتاب، والنّبوّة، وتسخير الجنّ، والإنس، والشّياطين.[1]

وبيّن ابن عاشور أنّه: استُغنيَ في هذه الآية عن كلمة (من لدنّا) لأنّ مصطلح الإيتاء أخصّ من كلمة علّمناه، ففي فعل "آتينا" ما يُؤذِن بأنّه علمٌ مُفاضٌ من عند الله سبحانه وتعالى. وحكاية قولهما: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الّذي فَضَّلَنا" كنايةً عن تفضيلهما بفضائل أخرى غير العلم. ففي قوله: "عَلى كَثِيرٍ مِنْ عِبادِهِ الْمُؤْمِنِينَ" دلالة أنّ المقصود منهم أهلُ العلم، وغيرهم، وفيه تنويه بأنّهما شاكرانِ نعمته؛ لأجل ذلك عطَفَ قولهم بالواو دون الفاء؛ لأنّه ليس حمدًا لمجرّد الشّكر على إيتاء العلم.[2]

---

[1] انظر: البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن. (492/3).

[2] انظر: ابن عاشور: التّحرير والتّنوير. (234/19).

وبيّن الزّمخشري أنّ: نعمة العلم من أَجَلِّ النِّعم، وأجزل القسم، وأنّ من أوتيه فقد أُوتي فضلاً على كثير من عباد الله، وفي الآية دليل على شرف العلم، وتقدم حملته، وأهله.[1]

2. قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ١٦﴾[النّمل: 16].

بيّن سيّد قطب أنّ المفهوم من كلمة ورث: وراثة العلم؛ لأنّه هو القيمة العليا الّتي تستأهل الذّكر، ويؤكّد هذا إعلان سيّدنا سليمان في النّاس ما حباه الله به من علم وتمكين وإفضال: "وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ": يُذيعها سيّدنا سليمان –عليه السّلام–بين النّاس لا مباهاةً وتكبّرًا، وإنّما إشهارًا وتحدّثا بنعمة الله، وإظهارًا لفضله سبحانه وتعالى: "إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ": فضل الله الكاشف عن مصدره، الدّال على صاحبه. فلا أحد يملك تعليم منطق الطّير لبشر سواه سبحانه.[2]

إنّ عقيدة التّوحيد الّتي غُرِسَت في قلوبهم كانت هي سبب استشعار النّعم، والدّافع لِحمد المُنعم، ونَسب النّعمة إليه؛ فهو وحده سبحانه لا شريك له المُتفضّل بها، والقادر على إنعامها. ولولا هذا الإيمان، وهذه العقيدة لتكبّروا، وتجبّروا، ونسبوا هذه النّعم لأنفسهم، ولَما حمدوا، وشكروا.

كما حصل مع فرعون إذ خلا قلبه من الإيمان؛ فطغى وتَطاوَل وتفاخَر ونَسَبَ نعم الله عليه لنفسه! قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٥١﴾[الزخرف: 51].

[1] انظر: الزمخشري: الكشاف. (353/3).

[2] انظر: سيّد قطب: في ظلال القرآن. (2634،2635/5).

3. قال تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾[النّمل: 19].

هذا المشهد يصوّر لنا: مدى تأثّر سيّدنا سليمان عليه السّلام بنعم الله وفضله عليه، وصِدق إنابته إلى ربّه، يدعوه، ويتوسل إليه، ويسأله سبحانه وتعالى راجيًا –بنداء قريب مباشر متّصل دون وساطة ولا تكلّف– الدّوام، والمُلازمة على شكر النّعم (من النّبوّة، والمُلك، والعلم). فقال أولاً: "رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ": ربّ أعنّي، وألهمني، ووفّقني، وسخّر طاقاتي، وأعمالي، وخلجاتي، وأقوالي، ومشاعري، وجوارحي، واجمعني كلّي لشكر نعمتك عليّ وعلى والديّ. ثانيًا: " وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ"، فالعمل الصّالح هو كذلك فضل من الله يوفّق إليه من يشكر نعمته، وسيّدنا سليمان الشّاكر الّذي يستعين بربّه على شكر نعمته، يستعين به كذلك ليوفّقه إلى عمل صالحٍ يرضاه، مع شعوره بأنّه توفيق، ونعمة أخرى من الله. ثالثًا: "وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ"، فهو يعلم أنّ الدّخول في عباد الله الصّالحين رحمة من الله تتدارك العبد فتوفقه للعمل الصّالح، فيضرع إلى ربّه –وهو النّبيّ الّذي أنعم الله عليه وسخّر له الإنس، والجنّ، والطّير–ويسأله أن يكون من المرحومين الموفّقين السّالكين في هذا الرّعيل! هكذا تكون الحساسيّة المُرهفة بتقوى الله، وخشيته، والتّشوُّق إلى رحمته، ورضاه في اللّحظات الّتي تتجلّى فيها نعم الله.[1]

وبيّن ابن عاشور أنّه أدرَجَ ذكر والديه في الدّعاء؛ لأنّ صلاح الابن نعمة على الوالدين فهو لهما مسّرة وطمأنينة، ورحمة في الدّنيا، ولِما ينالهما من صدقاته، ودعائه عنهما من الأجر والثّواب.[2]

[1] انظر: المرجع السّابق. (5/2637–2636)، وانظر: الغزالي: الجانب العاطفي من الإسلام. (ص:249).

[2] انظر: ابن عاشور: التّحرير والتّنوير. (19/244).

يتبيّن ممّا سبق أنّ استقرار عقيدة التّوحيد في القلب يُثمر الشُّكر. ومن صُوَر شُكر النّعم: العمل بها، واستشعار عِظَم الاصطفاء، واللّطف، والتّدبير الإلهي، والعناية الرّبّانيّة.

قال الغزالي: "فِعْل الشُّكْرِ وَتَرْك الْكُفْرِ لا يَتِمُّ إلاّ بِمَعْرِفَةِ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ تَعَالَى عَمَّا يكرهه. إذ معنى الشّكر استعمال نعمه تعالى في محابّه، ومعنى الكفر نقيض ذلك؛ إمّا بترك الاستعمال، أو باستعمالها في مكارهه".[1]

ويؤكّد ذلك قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾[سبأ: 13].

4. قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٞ ٤٠﴾[النّمل: 40].

بيّن سيّد قطب أنّ: سيّدنا سليمان انتفض أمام النّعمة، والشّعور بما ورائها من الابتلاء الضّخم المُخيف. وأنّه يحتاج إلى يقظة منه ليجتازه، وإلى عون من الله ليتقوّى عليه، وإلى معرفة النّعمة والشّعور بفضل المُنعِم ليتولّاه.[2]

وقد وضّح ابن القيّم أنّ إنعام الله سبحانه وتعالى على عبده: إحسانٌ إليه، وتفضّلٌ عليه، ومجرد امتنان. وأمرُهُ له بالشّكر أيضًا: إنعام آخر عليه، وإحسان منه إليه؛ إذ إنّ منفعة الشُّكر ترجع إلى العبد دنيا وآخرة، فهو الّذي ينتفع، ويُحسن إلى نفسه بالشُّكر، لا أنّه مكافِئ به لنِعم الله عزّ وجلّ؛ فلا يستطيع أحد أن يُحصي ثناءً عليه سبحانه. ومن تمام نعمته عزّ وجلّ، وعظيم كرمه، وجوده وبرّه: محبّته للعبد على هذا الشُّكر، ورضاه منه به، وثناؤه عليه به، على الرّغم من أنّ فائدته مختصّة بالعبد، ولا تعود منفعته على

[1] الغزالي، أبو حامد محمد، (ت: 505هـ): إحياء علوم الدين. 4مج. بيروت: دار المعرفة (90/4).
[2] انظر: سيّد قطب: في ظلال القرآن. (2642/5).

الله. وهذا غاية الكرم الّذي لا كرم فوقه: يُنعم عليك، ثمّ يوزعك شكر النّعمة –الّتي هي أيضًا تحتاج إلى شكر آخر–، ويرضى عنك، ثمّ يُعيد إليك منفعة شكرك، ويجعله سببا لتوالي النّعم.[1]

يتبيّن ممّا سبق، وجود علاقة وثيقة بين الشُّكر، والعاطفة، فالشُّكر عبارة عن انفعالات وِجدانيّة يشعر بها الشّخص الشّاكر؛ فهو إذا يُمثّل جانبًا عاطفيًّا في الشّخصيّة.

ويؤكّد هذا قول الغزالي: "الشُّكر شعور في النّفس قبل أن يكون حركة لسان".[2]

والعلاقة بين التّوحيد، والشُّكر علاقة وثيقة أيضًا. فالموحّد يَدري من يُنعم عليه، ويشعر بعظمته، وقدرته، ورحمته الواسعة، وعلمه الشّامل، وكَرَمِهِ الرَّحب، وعفوه الجميل، ومودَّته لخلقه، وبِرِّه بهم، وهذا كلّه ممّا يُفعم القلوب بالولاء ويُطلق الألسنة بالحمد، والشّكر، والثّناء، بينما الكافر مكفوف البصيرة تائه عن وليّ نعمته جاحدٌ به!

ولا شكّ أنّ الإقرار بالجميل، واستصحاب الشّعور بالعطاء السّابق، ودأب النّفس على شُكرِ المُنعم هو سبب لاستدرار العطاء اللاحق.

قال الغزالي: "ركون الفؤاد إلى صانعه يجعل المرء أَهلاً للمزيد؛ لأنّ النّعمة تُثمر فيه، كما يُثمر الماء في الأرض الخصبة".[3] قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾[إبراهيم: 7].

---

[1] انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر، (ت: 751هـ): مدارج السّالكين بين منازل إيّاك نعبد وإيّاك نستعين. 2مج. تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي 1416هـ، (2/242–241).

[2] الغزالي: الجانب العاطفي من الإسلام. (ص:237).

[3] انظر: المرجع السّابق. (ص:236).

المطلب الثّالث: دور عقيدة التّوحيد في تحقيق العبوديّة لله وحده

عرّف ابن القيّم العبوديّة بأنّها: كمال الخضوع والحُبّ.[1] وبيّن البوطي أنّ الافتقار لله هو أجلى صور عبوديّة الإنسان؛ فهو مادّة عبوديّته السّلوكيّة، وأساس تبتّله، وتذلّله بين يديه سبحانه وتعالى.[2]

وهناك فرق بين العبادة والعبوديّة[3]، فالعبادة هي: الوظائف البدنيّة الّتي كلّف الله عباده بها من صلاة، وحج وغيرها. أمّا العبوديّة فهي: الذُّل، والافتقار الّذي يُهيمن على كيان الإنسان، ومشاعره لخالقه، ويقوده إلى الالتجاء الدّائم إليه بالدّعاء، والاستغفار، والرّجاء، وإلى تعظيمه ومَهابته وحده لا شريك له.

والعلاقة بينهما أنّ: العبادة وعاء للعبوديّة، فالعبادة الّتي نؤديها بالجوارح ما هي إلا شكل ووعاء علينا أن نُظهِر من خلاله معاني العبوديّة لله عز وجل من ذلّ وانكسار وافتقار، وحب وخوف ورجاء، وخضوع واستكانة[4]، وقيمة العبادة تكمُن في القَدر الّذي تنطوي عليه من معنى العبوديّة؛ ذلك لأنّ الّذي يقرّب العبد إلى الله: تحققه بمعنى العبوديّة له، وإنّما شُرِعت العبادات وسيلة لذلك.

يُلاحظ ممّا سبق أنّ معاني العبوديّة تمثّل جانبًا عاطفيًّا في الإنسان فهي تدور حول: الذلّ، والافتقار، والحبّ، والإجلال، والرّجاء، والمهابة، والتّعظيم، والخضوع. وهذه كلّها عبارة عن مشاعر قلبيّة تُصاحبها انفعالات وِجدانيّة.

وسأبيّن فيما يأتي دور عقيدة التّوحيد في تحقيق العبوديّة لله وحده في ضوء سورة النّمل

أولا: العلاقة بين التّوحيد، والعبوديّة

التّوحيد المُطلق هو عمود الإسلام وشعاره الّذي لا ينفك عنه، وهو لبّ الرّسالات السّماويّة كلّها، وهو الحقيقة الّتي ينبغي أن نغار عليها، ونصونها من كلّ شائبة.

---

[1] انظر: ابن القيّم، محمد بن أبي بكر، (ت: 751هـ): الداء والدواء. 1مج. ط1. المغرب: دار المعرفة 1418هـ، (ص:212).

[2] انظر: البوطي، محمد سعيد رمضان، (ت: 1434هـ): الحكم العطائيّة شرح وتحليل. 5مج. دمشق: دار الفكر 1424هـ، (135/3).

[3] انظر: المرجع السّابق. (142/3).

[4] الهلالي، مجدي: حقيقة العبوديّة. 1مج. القاهرة: مؤسسة اقرأ للنّشر والتّوزيع والتّرجمة. (ص:14).

وقد بيّن سيّد قطب أنّ المعرفة بالله سبحانه وتعالى موحية باقتضاء العبوديّة، مُنشئة لمشاعرها الخفيّة، ومقتضياتها العمليّة. فالألوهيّة واحدة لا تتعدّد، هي ألوهيّة الله سبحانه وتعالى. والعبوديّة تتمثّل في كلّ ما وراء ذلك، فكلّ ما وراء ذلك لم يوجد بذاته إنّما هو من خلق الله سبحانه وتعالى، كما أنّه لا يقوم بذاته إنّما هو مخلوق أوجده الله سبحانه وتعالى، وهو مكفول يكفله الله سبحانه وتعالى، وهو متأثّر يتحرّك ويتغيّر بقدر الله سبحانه وتعالى. [فحقيقة الألوهية]: هي القاعدة الّتي تقوم عليها عقيدة المسلم، والّتي ينبثق منها تصوّره. وتأثيرها في حياة الكائن الإنسانيّ بجملتها، وتفصيلها لا يعدله تأثير! فهي ذات أثر حاسم في تكوين اعتقاده، وتقويمه، وفي سلامة تصوّره، وفي تصحيح كلّ انحراف أصاب الضّمير البشريّ، أو يصيبه. وهي ذات أثر حاسم في الشّعور، والخلق، والسّلوك، وفي الحياة الواقعيّة للبشر بكلّ ما فيها من: قيم وموازين، مبادئ وتقاليد، أنظمة وأوضاع، وسياسة، واجتماع، واقتصاد، وثقافة، وعلم، وفنّ... فهذه القاعدة هي الّتي تحدّد للبشر التّحديد الوحيد الصّحيح، ومنها تنبثق قواعد التّعامل مع شتّى الآفاق، والعوالم الّتي يتعامل معها الإنسان–سواء في ذلك تعامله مع ربّه، أو مع الكون حوله، أو مع الأحياء عامة، أو مع بني جنسه في جميع الارتباطات، والأوضاع–وعليها تقوم.[1]

ثانيًا: دور عقيدة التّوحيد في تحقيق معاني العبوديّة لله في ضوء سورة النّمل وأثرها على الشّخصيّة

1. تحسين السّلوك ودفع المرء للاستقامة.

عقيدة التّوحيد تؤدّي للعبادة الصّحيحة، والّتي بدورها تزيد معاني العبوديّة رسوخًا في القلب؛ فتنعكس إيجابيًّا على سلوك المسلم وتدفعه للاستقامة على أمر الله، فيكون صاحب شخصيّة سويّة ذات خلق رفيع. في حين أنّ الكفر يزيد من تسلّط الشّيطان على الإنسان، وصدّه عن السّبيل القويم، قال تعالى: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا

[1] انظر: سيّد قطب، (ت:1387هـ)، مقوّمات التصور الإسلامي، دار الشروق –القاهرة، ط6، 1427هـ، (ص:81–83).

يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾[النّمل: 24]، ويزيد من التّعصّب، والتّقليد الأعمى للآباء، قال تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾[النّمل:43].

2. تحرير الإنسان وسرّ سعادته وسلامه الدّاخليّ.

قال تعالى: ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾[النّمل: 60-61].

هذه الآيات العظيمة الدّالة على التّوحيد تؤكّد على تحرير عقل الإنسان، وضميره من كلّ عبوديّة وخضوع إلاّ لخالقه سبحانه وتعالى. وهذا مصدر لقوّة الشّخصيّة وثباتها، وقربها من خالقها.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ ﴿٩٢﴾﴾[النّمل: 91-92].

هذه الآية فيها تلقين للرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وذلك بأمرِهِ أن يقول للمشركين: "إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الّذي حَرَّمَهَا"، وفيها زيادة تثبيت وتطمين له، صلّى الله عليه وسلّم، بأنّه قد أرضى ربّه بأداء أمانة التّبليغ. فقال لهم صلّى الله عليه وسلّم: ما أُمِرتُ إلا بالثّبات على عبادة ربٍّ واحد، وأن أكون مسلمًا، وأن أتلوَ القرآن عليكم؛ ففيه الدّلالات القاطعة، والبراهين السّاطعة.[1]

[1] انظر: ابن عاشور: التّحرير والتّنوير. (55/20).

إنّ القرآن، والعبادة، والعبوديّة أساس الشّعور بالطّمأنينة، والسّكينة، والسّلام الدّاخليّ. وهي تبني شخصيّة سعيدة، متفائلة، وواثقة. فالمرء يشعر بالأمان وهو يعبد ويُناجي ربّه القادر على أيّ شيء، المُقتدر الرّزّاق الّذي يملك خزائن كلّ شيء، الحافظ له من كلّ سوء.

ويؤكّد ذلك قول البوطي أنّ العبوديّة سرّ سعادة الإنسان الفرديّة، والاجتماعيّة في الدّنيا، وسرّ سعادته في العقبى.[1]

وقول ابن تيمية: "مَنْ أَرَادَ السَّعَادَةَ الأَبَدِيَّةَ، فَلْيَلْزَمْ عَتَبَةَ العبوديّة".[2]

3. القرب من الله.

قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾[النّمل: 62-63].

مهما اغترّ الإنسان بنعم الله عزّ وجلّ عليه، وحاول إظهار استغنائه عن ربّه، إلا أنّه يتوجّه فطريًّا للقوّة والقدرة العليا سبحانه وتعالى، ويَظهر على حقيقته كعبدٍ ضعيف أمام الشّدائد.

فالدّعاء عبادة تحتاج إلى خشوع، وتذلّل، وتضرّع، وافتقار، ويقين، وحضور قلب. وكلّما اقترنت العبادة مع معاني العبوديّة؛ ازداد القرب من الله عزّ وجلّ.

وقد بيّن الهلالي أنّ قيام الجوارح بالعبادة مع حضور القلب، وتفاعل مشاعره معها؛ له أثر كبير في زيادة الإيمان والعبوديّة في القلب، وفي المقابل فإنّ تحرّك الجوارح بالعبادة دون تحريك القلب؛ قليل النّفع،

[1] انظر: البوطي: الحكم العطائية شرح وتحليل. (138/3).
[2] ابن القيم: مدارج السالكين. (429/1).

ضعيف الأثر. فقد يكون مقام الرّجليْن في صفّ الصّلاة واحدًا، ولكن بين صلاتهما، كما بين السّماء والأرض! وما ذلك إلاّ لتفاوت حركة المشاعر في قلبيهما من الخشوع، والذّل، والانكسار، والمحبة لله عزّ وجلّ. معنى ذلك أنّ دليل القرب من الله سبحانه وتعالى هو مقدار العبوديّة في القلب والّتي لا يعلم مقدارها إلاّ الله عزّ وجلّ، وليس مجرّد الإكثار من العبادة بالجوارح. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ١٣﴾[الحجرات:13].[1]

يتبيّن ممّا سبق أنّ العبوديّة محلّها القلب، ولها آثارها الّتي تظهر على الجوارح، وعلى شخصيّة الإنسان، وسلوكه. فالتّوحيد الخالِص يُثمِر سلوكًا قويمًا، والقرآن العظيم يُثبِّت الإيمان في القلب، ويوجّه المشاعر من: حبّ، رجاء، رهبة، فرح، خوف إلى الله سبحانه وتعالى، ويجعل المرء يتقلّب في جميع صُور العبوديّة لله عزّ وجلّ حسب الظّرف الّذي يعيشه، ففي البأساء، والضّراء تجده صاحب شخصيّة راضية متوكّلة مستسلمة لأمر الله، وفي السّراء تجده صاحب شخصيّة ذاكرة، شاكرة، ممتنّة لكرم الله... وفي كلّ الأحوال يعيش حالة الافتقار، والانكسار الدّائم لله العليّ الكبير.

المطلب الرّابع: دور عقيدة التّوحيد في تحقيق خُلُق الطمأنينة، والثّقة بالله تعالى

لقد علّمنا القرآن أنّ أكثر النّاس قلقًا، وضيقًا، واضطرابًا، وشعورًا بالتّفاهة، والضّياع، هم المحرومون من نعمة الإيمان وبرد اليقين، وإن كانت حياتهم حافلة باللذائذ والمُرفّهات! فإنّ القلب لا يطمئن إلاّ بالإيمان واليقين، والقرآن هو المُحصِّل لهما، فبالوحي يبلغ المؤمن درجة علم اليقين، وبغيره لن يكون هناك يقين، وبغير اليقين لن تكون سكينة، وبغير السّكينة لن تكون سعادة. فتحرص العقيدة دائمًا على غرس خُلُق الطّمأنينة في شخصيّة المسلم، وكيانه.

[1] انظر: الهلالي: حقيقة العبودية. (ص:17).

قال ابن القيّم: "الطمأنينة: سكون القلب إلى الشّيء، وعدم اضطرابه، وقلقه".[1] وقال الأصفهانيّ: "الطُّمَأْنِينَةُ والاطْمِئْنَانُ: السّكونُ بعد الانزعاج".[2]

وعرّف الأصفهاني الثّقة بقوله: (وَثِقْتُ به أَثِقُ ثِقَةً): اعتمدت عليه، وسَكَنتُ إليه.[3]

يتبيّن ممّا سبق أنّ الطّمأنينة، والثّقة هي مشاعر قلبيّة ترتكز على الإحساس بالسّكينة.

وثمّة علاقة وثيقة كما بيّن ابن القيم بين العبوديّة لله تعالى، والطّمأنينة والشُّكر، فكمال عبوديّة العبد –من جهة الإرادة والعمل– على قدْر محبته، وبذله الجهد في فعل ما يحبّه الله سبحانه وتعالى، وعلى قدْر كراهته، وبذله الجهد في ترك ما يكرهه الله عزّ وجلّ. وهذا إنّما يكون للنّفس المطمئنّة، لا للأمّارة، ولا للوّامة. وأمّا كماله من جهة العلم، والمعرفة، فأن تكون بصيرته منفتحة في معرفة الأَسماءِ، والصّفات والأفعال.[4]

وهذا كلّه ممّا يحثّ النّفس ويدفعها على شُكر المُنعم وذكره.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾[الرّعد: 28]. أي: الّذين آمنوا وتطمئنّ قلوبهم بذكر رحمة الله، ومغفرته بعد القلق، والاضطراب من خشيته، أو تطمئن بالقرآن؛ لأنّه معجزة بيّنة تُسكّن القلوب، وتثبّت اليقين، أو تطمئن بذكر دلائل الله الدّالة على وحدانيّته سبحانه.[5]

---

[1] ابن القيم: مدارج السالكين. (479/2).

[2] الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. (ص:524).

[3] انظر: المرجع السّابق. (ص:853).

[4] انظر: ابن القيّم: طريق الهجرتين وباب السعادتين. (ص:215).

[5] انظر: الزمخشري: الكشاف. (528/2).

وقد اهتمّت سورة النّمل بتحقيق خُلُق الطمأنينة والثّقة بالله عزّ وجلّ في الشّخصيّة، وذلك من خلال الآيات الآتية:

1. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ٤﴾[النّمل: 4]، وقال تعالى: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ٢٤﴾[النّمل: 24].

لا شكّ أنّ واحدة من أهم أسباب الشّعور بالسّكينة لدى المؤمن أنّه قد هُدِيَ إلى فطرته الّتي فطره الله سبحانه وتعالى عليها، فإنّ في الفطرة الإنسانيّة فراغًا لا يملؤه علم، ولا فلسفة، ولا ثقافة، إنّما يملؤه الإيمان بالله عزّ وجلّ. في حين أنّ الإشراك بالله سبحانه وتعالى، والكفر به يجعل الإنسان في اضطراب دائم. وكلّ نفس لا تؤمن بالآخرة؛ تُزيَّن لها الشّهوة. أولئك الّذين أضلّهم الشّيطان فهم يعمهون، لا يرون ما في أعمالهم من سوء، وشر، وهم حائرون لا يهتدون لعبادة العليم الخبير، ولا تطمئن قلوبهم للحقّ والصّواب.

2. قال تعالى: ﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٠﴾[النّمل: 10].

لا يخاف المرسلون في حضرة ربّهم سبحانه وتعالى، بل إنّ الطّمأنينة الموجبة للسّكينة، والأُنس، والأمن، والأمان، والثّقة بالخالق سبحانه وتعالى تغشاهم. فَفِعل سيّدنا موسى عليه السّلام هو عين ثقته بالله، إذ لولا كمال ثقته به سبحانه لَمَا ألقى عصاه، ولَمَا أدخل يده في جيبه...

3. قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾[النّمل: 62].، وقال تعالى: ﴿أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ

وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾[النّمل: 63].

تستيقظ الفطرة في لحظات الضّعف، فتلجأ إلى القوّة الوحيدة الّتي تملك الغوث، والنّصرة، والأمن، والسّلامة، وأسباب الخلاص. فليس للمكروب، والمضّطر في لحظات همّه، وقلقه من ملجأ إلاّ الله سبحانه وتعالى؛ يدعوه ليكشف عنه الضّرّ، والسّوء، وينزل السّكينة، والطّمأنينة على قلبه. وتكون قوّة الرّجاء حسب قوّة المعرفة بالله، وأسمائه، وصفاته.

فالثّقة كما بيّن ابن القيّم هي: سويداءُ قلبِ التّسليم، فإنّ أشرف ما في القلب: سويداؤُه –المُهجة الّتي تكون بها الحياة، وهي في وسطه–، ولو كان التّفويض قلبًا لكانت الثّقة سويداءَه. وهي أيضًا: النّقطة الّتي يدور عليها التّفويض، والتّسليم، فلو كان التّفويض دائرة لكانت الثّقة نُقطتها.[1]

فالإنسان المؤمن الّذي يخاف الله يكون على ثقة بنصره، وتأييده له سبحانه. قال تعالى: ﴿وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النّمل: 53]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾[النّمل: 70].

وأشار ابن القيّم إلى أنّ الثّقة: سوادُ عينِ التّوكّل (كما أنّ سواد العين: أشرفُ ما فيها)، أي أنّها خُلاصةُ التّوكّل ولُبُّه. فكأنّ الثّقة هي روح، والتّوكل كالبدن الحامل لها.[2]

فشعور الإنسان أنّه على الحقّ المبين، هو شعور لا يَظفر به غير المؤمن بوحي الله وهداه. قال تعالى: ﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾[النّمل: 79].

[1] انظر: ابن القيّم: مدارج السالكين. (2/143،142).

[2] انظر: ابن القيّم: مدارج السالكين.

4. قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٧٧﴾[النّمل: 77].

إنّ القرآن يَهدي المؤمنين ويَقيهم من الضّلال، ويرحمهم من الشّكّ، والقلق، والحيرة، والتّخبط، ويَصِلهم بالله سبحانه وتعالى، يطمئنّون ويسكنون إلى جواره.

فهذه السّكينة، والطّمأنينة هي ثمرة من ثمار دوحة الإيمان، وشجرة التّوحيد الطيّبة الّتي تُؤتي أُكلها كلّ حينٍ بإذن ربها.

5. قال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٨٦﴾[النّمل: 86].

اللّيل، والنّهار آيتان كونيّتان لمن استعدت نفسه للإيمان. تُشعرهم بالأمان في ظلّ هذا النّظام الكونيّ الدّقيق. فلو كان الدّهر كلّه نهارًا أو ليلاً لانعدمت الحياة على وجه الأرض. فإنّ في تصريفهما دلالة لقوم يؤمنون بكمال قدرة الخالق سبحانه وتعالى، ووحدانيّته، وعظيم نعمه.

6. قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ٨٩﴾[النّمل: 89].

لقد فجّر الإيمان في قلب صاحبه ينابيع للسّعادة لا يمكن أن تغيض. تلك هي ينابيع الثّقة، والتّوكل والطّمأنينة، والسّكينة، والأمن، والرّضا، والحبّ...

وسكينة النّفس هي الينبوع الأوّل للسّعادة. ومصدرها واحد: الإيمان الصّادق الخالِص العميق الّذي لا يُفسده نفاق، ولا يكدّره شكّ بالله، واليوم الآخر. فمن جاء بتوحيد الله، والإيمان به، وعبادته وحده، والخوف منه في الدّنيا؛ أَمِنَ من عذاب يوم القيامة.

يتبيّن مما سبق أنّ: عقيدة التّوحيد تبني شخصيّة مستقيمة، مطمئنّة، متوكّلة، ذاكرة، عابدة، شاكرة، واثقة بالله سبحانه وتعالى.

الفصل الثّالث

دور العقيدة الإسلاميّة في بناء الشّخصيّة الإيجابيّة والمتوازنة في ضوء سورة النّمل

للعقيدة الإسلاميّة دور مؤثّر، وفعّال في بناء الشّخصيّة الإيجابيّة، فهي تجعل من المسلم إنسانًا ذا شخصيّة متفائلة غير سلبيّة، لا تتكاسل عن القيام بواجباتها؛ فهي تسكب في روح من يؤمن بها السّلام، وتجعله يَشيع على من حوله: حُبًّا، وأَمنًا، ورِفقًا، وسكينة.

وتجعل منه إنسانًا ذا شخصيّة متوازنة لا تُغلِّب جانبًا على جانب، بل تعطي كلّ ذي حقٍّ حقه.

وهذا ما سأبيّنه في المباحث الآتية.

المبحث الأوّل: الرّبط بين قضايا العقيدة الإسلاميّة والعمل، ودورها في بناء الشّخصيّة الإيجابيّة

ترتبط العقيدة الإسلاميّة بالعمل ارتباطًا وثيقًا، وبالتّالي فإنّ لها دورها المؤثر في بناء الشّخصيّة الإيجابيّة؛ فالعقيدة هي عماد الأخلاق الحسنة الّتي تحثّ على المكارم، والفضائل الحميدة.

وقبل بيان العقيدة في بناء الشّخصيّة، لا بدّ من بيان معنى الإيجابيّة، والصّفات الّتي تتحلّى بها الشّخصيّة الإيجابيّة.

جاء في معجم اللّغة العربيّة أنّ الإيجابيّة: مصدر صناعي من إيجاب، وهو: كل ما يصدر من أمور موفَّقة، ناجحة، ومقبولة.[1]

[1] انظر: عمر، أحمد مختار، (ت: 1424هـ) +فريق عمل: معجم اللغة العربية المعاصرة. 4مج. ط1. عالم الكتب 1429هـ، (2401/3).

للشّخصيّة الإيجابيّة صفات عِدّة، منها: [1]

1. الإيمان بالله سبحانه وتعالى، والاستعانة به، والتّوكل عليه.
2. التحلّي بالقيم العليا –كالصِّدق والإحسان–.
3. الرّؤية الواضحة للأهداف، والسّعي لتنفيذها.
4. التّفكير الإيجابيّ، والتّركيز على الحلّ عند مواجهة الصّعوبات.
5. الاستفادة من التّحديات، والصّعوبات، وتحويلها إلى مهارات، وخبرات قويّة، وتجارب يُستند إليها.
6. الثّقة بالنّفس، ومحبّة التّغيير.
7. التّفاؤل، والرّضا، والصّفح والعفو، والأمل، والإيثار، والاعتراف بالفضل، والتّعاطف والتّقدير الاجتماعيّ.[2]

المطلب الأوّل: العلاقة بين العقيدة الإسلاميّة، والعمل الصّالح

العمل الصّالح هو الثّمرة المباركة للإيمان، فهو ليس مجرد فلسفة نظريّة تخزن في الدّماغ، وليس مجرد معرفة نظريّة جامدة.

والعمل عند جمهور أهل السّنّة: جزء لا يتجزّأ من الإيمان الكامل.[3]

وبيّن القرضاوي أنّ الإيمان الصّادق ليس مجرد إدراك ذهنيّ، أو تصديق قلبيّ غير متبوع بأثر عمليّ في الحياة، بل هو: اعتقاد، وعمل، وإخلاص.[4]

---

[1] انظر: الفقي، إبراهيم، (ت: 1433هـ): التّفكير السّلبيّ والتّفكير الإيجابيّ. مصر: الراية للنشر والتوزيع 1429هـ، (ص: 101–104).

[2] انظر: ابن عبد السلام، عبدالله. (2020). "علم النّفس الإيجابي". مجلة دراسات نفسية وتربوية، مج13، العدد1، ص207–220، مسترجع من http//:search.mandumah.com/Record/1

[3] انظر: القرضاوي: الإيمان والحياة. (ص:300).

[4] انظر: المرجع السّابق. (ص:300،299).

وقد ذكر القرآن الكريم الإيمان مقرونًا بالعمل في أكثر من 70 آية من آياته، ولم يكتفِ بمجرد العمل ولكنّه يطلب عمل "الصّالحات"، وهي كلمة جامعة من جوامع القرآن الكريم تشمل كلّ ما يصلح به الدّين والدّنيا، والفرد والمجتمع، وما تصلُح به الحياة الروحيّة والماديّة معًا.

قال تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾[النّمل: 19].

يبيّن قوله تعالى: {وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ} أنّ سيّدنا سليمان عليه السّلام ربط العمل مع دعائه بالصّلاح الّذي يحبّه الله سبحانه وتعالى، ويرضاه ويُثيب عليه فاعله.

وقد بيّنتُ العلاقة بين العقيدة الإسلاميّة والعمل في المبحث الأوّل من الفصل الأوّل، وذكرت فيه أنّ العقيدة هي قضايا غيبيّة وعمليّة، تُقنع العقل، وتطمئنه، وتهزّ القلب، وتحرّكه، فتستجيب بذلك الجوارح وتندفع للعمل الصّالح. فتتمثّل العقيدة الثّابتة في الباطن بصورتها الخارجيّة في سلوك المؤمن، وأخلاقه، وأعماله، ومعاملاته، والتزامه بالشّريعة الإسلاميّة.

المطلب الثّاني: دور العقيدة الإسلاميّة في بناء الشّخصيّة الفاعلة من خلال الحثّ على العمل

للعقيدة الإسلاميّة دور مؤثّر في بناء الشّخصيّة الفاعلة من خلال الحثّ على العمل، وقد بيّن ماجد الكيلاني أنّ:

من أبرز صور الإيجابيّة في القرآن الكريم القيام بالعمل الصّالح. والعمل الصّالح هو: التّرجمة العمليّة والتّطبيق الأكمل للعلاقات الّتي حدّدتها فلسفة التّربية الإسلاميّة بين الإنسان والخالق، والكون والحياة، والإنسان والآخرة.

وينقسم العمل الصّالح من حيث أثره إلى قسمين: عمل هدفه جلب النّافع للإنسان، والمُرضي لله –وهو يفيد التّقدّم والنّماء–، وعمل هدفه دفع الضّارّ بالإنسان، والمغضب لله –وهو يفيد في منع أسباب الفساد والتّأخّر–.

والإنسان الّذي يمارس القسمين من العمل يُطلق عليه اسم: الصّالح المُصلح، وهو النّموذج الّذي تسعى التّربية الإسلاميّة الى إخراجه.

ويقدّم القرآن الكريم نماذج للعمل الصّالح، منها: العمل السّياسي، والعلميّ، والثّقافيّ، والعسكريّ، والفكريّ، والتّربويّ.

ومن منافعه: التّمكين في الأرض، والأمن، ووفرة البركات، والخيرات، والدّرجات العالية، والتّمتّع بنعم الله، واليقين، والجزاء الحسن.[1]

وأشار القرضاوي إلى أنّ الإيمان أعظم دافع للإنتاج الاقتصاديّ، والماديّ، والمعنويّ. وأوهام بعض النّاس أنّ الإيمان بالدّين، وعقائده قد يؤخّر عجلة الإنتاج، أو يعوّقها في سيرها، وحركتها؛ بما يُميت في النّفوس من حبّ الحياة، والرّغبة في العمل الماديّ، وبما يُلقيه في قلوب النّاس أنّ الإنسان مُسيَّر لا مُخيَّر، وأنّ الحياة الدّنيا لا تستحقّ العمل، والاهتمام، هي أوهام أشاعها الجهل عن الدّين، والعقيدة.

فالإنتاج لا يُنمَّى، ويزداد إلا بما يبذل النّاس من جهد، وعمل، وما يَصحَب ذلك من إتقان، وإحكام، ولا يتحقّق هذا، وذاك إلاّ في جوّ من الأمانة، والإخلاص للعمل؛ وذلك لا يكون إلاّ بحافز غلاّب، وباعث قويّ ألا وهو الإيمان، فليس هناك باعث أقوى تأثيرًا منه.[2]

---

[1] انظر: الكيلاني، ماجد: مقوّمات الشخصيّة المسلمة أو الإنسان الصالح. ط1. قطر: رئاسة المحاكم الشرعيّة والشؤون الدينيّة، (ص:42–46).

[2] انظر: القرضاوي: الإيمان والحياة. (ص:299).

وسأبيّن فيما يأتي العلاقة بين العقيدة الإسلاميّة والعمل في ضوء سورة النّمل:

1. قال تعالى: ﴿طسٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ ۝١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٣﴾[النّمل:1-3].

بيّنت الآية صفات المؤمنين الّذين يجدون القرآن هدى وبشرى، وهم: الّذين يقيمون الصّلاة فيؤدّونها حقّ أدائها، وهم يستشعرون عظمة مَن يقفون بين يديه، مرتفعة مشاعرهم إلى ذلك الأُفق الوضيء، مشغولة خواطرهم بمناجاة الله والتّوجّه إليه في مَحضره العظيم. ويؤتون الزّكاة فيطهرون نفوسهم من رذيلة الشّحّ، ويستعلون بأرواحهم على فتنة المال، ويَصِلون إخوانهم في الله ببعض ما رزقهم الله. {وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} فإذا بحساب الآخرة يشغل بالهم، ويصدّهم عن جموح الشّهوات، ويغمر أرواحهم بخشية الله، وتقواه، والحياء من الوقوف بين يديه موقف العصاة.[1]

في حين أنّ غير المؤمنين بالآخرة، أعمالهم هي أعمال الإشراك الظّاهرة والباطنة، وهم لإلْفِهم إيّاها؛ صاروا غير قابلين لهدي هذا الكتاب العظيم. وعبادة غير الله سبحانه وتعالى تستوجب: تسلّط الشّيطان على المشرك، وتزيينه للأعمال السّيئة الّتي يعملها. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ۝٤﴾[النّمل: 4]، ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ۝٢٤﴾[النّمل: 24].

وقد أكّدَ سيّد قطب على أنّ: منهج الله سبحانه وتعالى هو الّذي يجعل العمل: عبادة.[2]

والإيمان، والتّقوى، والعمل الصّالح هي: أسباب عمران هذه الأرض، ووسائل الحصول على رضوان الله وثوابه الأُخرويّ؛ وذلك لأنّ الإنتاج، والنّماء، والوَفرة في عمل الأرض هو ذاته المؤهِّل لنيل ثواب الآخرة، ولرخاء هذه الحياة الدّنيا.

---

[1] انظر: سيّد قطب: في ظلال القرآن. (2627/5،2626).

[2] انظر: سيّد قطب، (ت:1387هـ): التّربية الإسلاميّة في ظلال القرآن. 1مج. جمع وإعداد: عبد الله ياسين. ط1. عمان: دار الأرقم، بيروت: دار القبس 1403هـ، (ص:94).

2. قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ٨٩ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٩٠﴾[النّمل: 89-90].

بيّن الشنقيطي أنّ الحسنة في هذه الآية الكريمة تشمل نوعين من الحسنات:

أ. هي فعل خير من أفعال العبد، كالإنفاق في سبيل الله.

وقوله تعالى: {فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا}: أي أنّ الثّواب مضاعف، فهو خير من نفس العمل. وهذا المعنى توضّحه آيات من كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾.

ب. المراد بها: لا إله إلا الله، ولا يوجد شيء خير منها، بل هي أساس الخير كلّه.

وبالتّالي فلفظة خير في الآية ليست صيغة تفضيل، والمعنى: فله خير عظيم عند الله حاصل له منها.

وقوله تعالى: {وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ} تضمّن أمرين:

- أنّ من جاء ربّه يوم القيامة بالسّيئة -كالشّرك-؛ يُكبُّ وجهه في النّار.
- أنّ السيّئة إنّما تُجزى بمثلِها من غير زيادة. فالسّيّئات لا تُضاعف، ولكن قد تَعظُم فيَعظُم جزاؤها بسبب حُرمة المكان/الزّمان، كقوله تعالى في الأشهر الحرم: ﴿فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ﴾[التّوبة:36].[1]

يتبيّن ممّا سبق أنّ: التّوحيد الخالِص يُثمر الأمن التّام في الدُّنيا، والآخرة. ومَن يملك عقيدة تحرّكه وتحثّه على فعل الأمور الإيجابيّة كفعل الخيرات، والأعمال الصّالحة، وتنهاه عن الفواحش والمنكرات؛ فهو آمن يوم الفزع الأكبر بإذن الله.

[1] انظر: الشنقيطي، محمد الأمين، (ت: 1393هـ): أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1415هـ، (147/6).

وقد بيّن سيّد قطب أنّ معرفة المؤمن بأنّ العبادة هي غاية الوجود الإنسانيّ؛ من شأنها أن ترفع ضميره وشعوره، ونشاطه، وعمله، وتنظّف وسائله، وأدواته. فهو يريد العبادة بكسبه، وإنفاقه، ونشاطه، وعمله، فأولى به ألاّ يغدر، ولا يفجر، ألاّ يغشّ، ولا يخدع، ألاّ يطغى، ولا يتجبر... ومن شأن هذا كلّه ألاّ تثور في نفس الإنسان المخاوف، والمطامع، وألاّ يستبدّ به القلق في أيّة مرحلة من مراحل الطّريق، فهو يحقّق غاية وجوده في كل خطرة، ويرتقي صعدًا إلى الله سبحانه وتعالى في كلّ مجال ونشاط.

فشعور المؤمن بأنّه يمضي مع قدر الله في طاعة الله؛ لتحقيق إرادة الله، وما يسكبه هذا الشّعور في روحه من الأمان، والطّمأنينة، والاستقرار، والمُضي في الطّريق بلا حيرة، ولا سخط على العقبات والمشاقّ، وبلا قنوط من عون الله ومدده، وبلا خوف من ضلال القصد وضياع الجزاء؛ فهو سلام مع النّفس، والضّمير، مع العقل، والمنطق، مع النّاس، والأحياء، سلام مع الوجود كلّه، سلام يرف في حنايا السّريرة، سلام يظلّل الحياة، والمجتمع، سلام في الأرض والسّماء.

وأول ما يفيض هذا السّلام على القلب، يفيض من صحّة تصوره لله ربّه عزّ وجلّ:

1. فالإنسان يتّجه في ثقة، وطمأنينة إلى إله واحد.

إنّ توحيد الله تعالى والإيمان به؛ يحثّ على طاعته.

وبالتالي فهو يبني شخصيّة: مستسلمة، متوكّلة، صالحة، مصلحة، صبورة. قال تعالى: ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ٢٥﴾[النّمل: 25].

2. ويتّجه في أمن، وأمان إلى إله قويّ قادر عزيز قاهر، وقد أَمِنَ كلّ قوّة زائفة واطمأن واستراح.[1]

[1] انظر: سيّد قطب: التّربية الإسلاميّة في ظلال القرآن. (ص:72،70).

قال تعالى: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣٨ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ٣٩﴾[النّمل: 37-39].

يظهر في ردّ سيّدنا سليمان عليه السّلام على هديّة ملكة سبأ استهزاؤه بالمال، واستنكاره للاتجاه إليه في مجال غير مجاله: مجال العقيدة والدّعوة. وأتبع هذا الاستنكار بالتّهديد: فلنأتينّهم بجنود لم تُسخّر للبشر في أيّ مكان، ولا طاقة للملكة وقومها بهم في نضال. وقد رجّح سيّد قطب أنّ قصد سيّدنا سليمان عليه السّلام من استحضار عرشها قبل مجيئها مسلمة مع قومها، هو وسيلة لعرض مظاهر القوّة الخارقة الّتي تؤيّده؛ لتؤثّر في قلب الملكة، وتقودها إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى، والإذعان للدّعوة.[1]

هذه القوّة في الدّعوة، والتّأثير البليغ في أسلوب نشر الدّعوة، إنّما يستمدّها الإنسان من توحيده وإيمانه بالله سبحانه وتعالى، ومن عقيدتهالإسلاميّة الّتي تُضفي على عمله الإتقان، والقوّة، والأمانة.

3. ويتّجه إلى ركن شديد ينال فيه العدل، والرّعاية، والأمان، يتّجه إلى إله عادل حكيم، في قوّته، وقدرته ضمان من الظّلم والهوى.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩١ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ٩٢﴾[النّمل: 91-92].

[1] انظر: سيّد قطب: في ظلال القرآن. (2640/5+2641).

في هذه الآية زيادة تثبيت وتطمين له صلّى الله عليه وسلّم بأنّه قد أرضى ربّه بأداء أمانة التّبليغ. فقال لهم صلّى الله عليه وسلّم: ما أُمِرتُ إلا بالثّبات على عبادة ربٍّ واحد. (كما سبق شرحها في المبحث الثّاني من الفصل الثّاني).

وبيّن ابن عاشور أنّ: تكرار (أُمِرتُ) فيه إشارة إلى الاختلاف بين الأمرين، فالأوّل هو: أمر إلهام للرّسول، صلّى الله عليه وسلّم، إذ عصَمَهُ الله من عبادة الأصنام قبل الرّسالة. والثّاني هو: أمر يقتضي الرّسالة، وقد شمل دعوة الخلق إلى التّوحيد. والتّلاوة: قراءة كلام معين على النّاس، وفُرِّعَ على التّلاوة ما يقتضي انقسام النّاس إلى مهتدٍ وضالّ، أي: منتفع بقراءة القرآن عليه، وغير منتفع. مبيّنًا أنّ من اهتدى فإنّما كان اهتداؤه لفائدة نفسه، وفي هذا زيادة تحريض للسّامعين على الاهتداء بهدي القرآن الكريم لأنّ فيه نفعه.[1]

يظهر دور العقيدة الإسلاميّة في بناء شخصيّة تتّسِم بالهداية، والصّلاح، والانتفاع بالخير، من خلال الحثّ على العمل، والأمر بالثّبات على عبادة ربٍّ واحد، وتلاوة القرآن الكريم.

4. ويتّجه إلى ربّ رحيم ودود منعم وهّاب، يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، فالمسلم في كنفه آمن آنس، سالم غانم مرحوم إذا ضعف، مغفور له متى تاب...

قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾[النّمل: 62].

وهكذا يمضي المسلم مع صفات ربّه، فيجد في كلّ صفة ما يؤنس قلبه، ويطمئن روحه، وما يضمن معه الحماية، والوقاية، العزّة، والمنعة، العطف، والرّحمة...

[1] انظر: ابن عاشور: التّحرير والتّنوير. (57/20).

فالمؤمن بعقيدة الإسلام: يحب الوجود كلّه، حتى الحياة، والموت! وإذا كره ولا بُدّ، فإنّما يكره الشّيطان وحزبه كُرهًا مقرونًا بالرّحمة والإشفاق. وهذا الحبّ هو دليل إيمانه بربّه، وقائده إلى جنّته.[1]

بناءً على ما سبق، أستطيع القول إنّ: دور العقيدة من خلال الحثّ على العمل هو أساس بناء شخصيّة إيجابيّة متوازنة قويّة تتحلّى بالإخلاص، والقوّة، والأمانة، والثّبات.

[1] انظر: القرضاوي: الإيمان والحياة. (ص:191).

المبحث الثّاني: دور العقيدة الإسلاميّة في بناء الشّخصيّة الإيجابيّة من خلال شخصيتيّ سليمان عليه السّلام، وملكة سبأ

جاء القرآن الكريم ليغرس المكارم والفضائل في نفوس المسلمين، ويورّثهم همّ الأنبياء في إصلاح الأُمم؛ فيشحذ الهمم إلى معالي الأمور وينهى عن استغراق النّفس في رذائل الأمور وسفاسفها، ومن أوضح المظاهر لذلك ظاهرة الإيجابيّة. وهذا ما سأبيّنه فيما يأتي.

المطلب الأوّل: دور صفة العلم بالله في بناء الشّخصيّة الإيجابيّة الشّاكرة لله، والمتواضعة من خلال شخصيّة سليمان عليه السّلام

من الصِّفات الإيجابيّة الّتي اتَّصف بها سيّدنا سليمان، عليه السّلام، في سورة النّمل

1. **صفة العلم بالله تعالى، ومخلوقاته.**

يُعدّ العلم من أجلّ النّعم الّتي يؤتيها الله لعباده.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥﴾[النّمل: 15].

هذه الآية تدلّ على أنّ الله سبحانه وتعالى هو الّذي أنعم على سيّدنا داوود، وسليمان، عليهما السّلام، بنعمة العلم، قال تعالى: {وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ}، وقال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ١٦﴾[النّمل: 16]، ونلحظ أنّ صفة العلم بالله أدّت لبناء شخصيّة إيجابيّة شاكرة، ومتواضعة، فقد دفعتهما للاعتراف بفضل الله، وشكره سبحانه، وفي نَسبِة العلمِ لله مُنتهى التّواضع، والأدب، والصّدق، قال تعالى: {وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي

فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ}، وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾[النّمل: 40]..

2. **صفة العلم بالقيادة، والتّنظيم:**

قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾[النّمل: 17].

حُشِرَ: جُمِعَ.[1]

الوَزع: الكَفّ، والمنع عن التّفرّق، والانتشار. يوزعون: يُحبسون ويُمنعون من الانتشار والتّفرّق، حتّى يُردّ أولهم على آخرهم ليتلاحقوا، ويجتمعوا، ولا ينتشروا كما هو حال الجيش الكثير.[2]

تُصَوِّر الآية مشهد العمل العسكريّ (وهو عمل صالح هنا) لسيّدنا سليمان، عليه السّلام، فهو أمام استعراض عسكريّ منظّم لجنوده من أصناف مختلفة، وفيها دليل على أنّ العقيدة الرّاسخة جعلت منه قائدًا عظيمًا تزيّنه قِيَمه العليا. وإنّ منطق الحقّ، والعدل في الدّين الإسلاميّ يقتضي أن يُقابل التّكليف بالواجبات (للجنود) أداء للحقوق (من قِبَل القائد).

وهذه الحقوق تتلخص فيما يأتي:

1. الرّفق بالجنود.

فعلى القائد أن يرفق بجنوده، لا يرهقهم، ولا يحمّلهم من العمل ما لا يطيقون إلاّ لضرورة، أو تطوّع منهم.[3]

---

[1] انظر: الهرري، محمد الأمين، (ت: 1441هـ): تفسير حدائق الروح والريحان. 33مج. تحقيق: هاشم محمد علي. ط1. بيروت: دار طوق النجاة 1421 هـ، (399/20).

[2] انظر: المرجع السّابق.

[3] انظر: الوكيل، محمد السيّد، (ت: 1423هـ): القيادة والجنديّة في الإسلام. 2مج. المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، (177/2).

2. احترام آرائهم.

كلّ فرد في المجتمع الإسلاميّ مسؤول عن سدّ ثغرة من ثغرات المجتمع الّذي يعيش فيه، ومن واجبه أن يؤدّي هذا الدّور بكلّ جدارة، فإن قصّر، أو تخاذل فهو محاسب على ذلك بين يديّ الله سبحانه وتعالى. وقد منح الإسلام كل فرد منهم حقّ النّقد الصّريح، وبالتّالي فقد أوجَبَ على المسؤولين في الأُمّة الاستماع له، واحترام رأيه، والأخذ به ما دام يُحقّ حقًا أو يُبطل باطلاً، وتلك هي الضمانات الحقيقيّة ليأتي النّقد ثمرته، ويُحقّق غايته.[1]

تبيّن قصّة الهدهد في سورة النّمل صفة الإيجابيّة الّتي تمثّلت في شخصيّة سيّدنا سليمان، عليه السّلام، فهو لم يذبحه أو يعذّبه حالما رآه –على الرّغم من غضبه منه–، بل احترم قوله، واستمع للنّبأ الّذي جاءه به. قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ٢١ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ٢٢﴾[النّمل: 20–22].

3. القيام على مصالحهم.

القيام على مصالح النّاس من أوجب واجبات الحكومة، فإنّما وُجدت الحكومات، ورضيَ النّاس بالخضوع لها؛ لأنّهم يشعرون أنّ ذلك يُحقق لهم مصالحهم، ويدفع عنهم اعتداءات المعتدين. والحكومة الإسلاميّة الّتي تقوم على الشّرع هي وحدها الّتي تكفل للنّاس مصالحهم الدّنيويّة والدّينيّة. فلا بُدّ أن تكون القيادة واعية لما يدور حولها، بصيرة بأحوال الرعيّة، تبذل جهدها فيما يُحقّق لهم المصلحة الّتي يعود عليهم نفعها، وينعمون بسعادتها في الدّارين.[2]

[1] انظر: المرجع السّابق. (2/195،193).

[2] انظر: المرجع السّابق. (2/214،213).

من أهم المصالح الّتي تعود بالنّفع، والسّعادة الدّنيويّة والأُخرويّة على أهلها: الدّخول في الإسلام. وقد تحقّقت صفة الإيجابيّة في شخصيّة سيّدنا سليمان، وذلك في حرصه على إسلام ملكة سبأ وقومها، قال تعالى: ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾[النّمل: 31]، وكان له ذلك؛ قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[النّمل: 44].

ومن أهم المصالح الّتي يجب على القيادة القيام بها للجنود:

1. **الأمن النّفسيّ، والجسميّ**[1]

إنّ الدّنيا بحذافيرها تتمثّل في هذا الثّالوث: الأمن، والصّحّة، والرّزق. فالأمن إذن يعدل ثلث الدّنيا وقد يزيد؛ ذلك لأنّ فيه: راحة البال، واطمئنان النفس، بل هو السّعادة الحقيقيّة المُنبعثة من داخل الإنسان، ويتحقق ذلك للجنود:

أ. بالثّقة في عدالة القيادة.

هذه الثّقة تبعث في النّفس الطمأنينة والرّضى، وتجعل الإنسان لا يخاف من التّعرّض للظّلم، أو الاعتداء؛ لأنّ المُعتدي لا بدّ أن ينال جزاءه. وهذا الأمن لا يتوفر للجنود إلاّ في ظل قيادة رشيدة، تؤمن بواجبها في حمايتهم ودفع الأذى عنهم، وعن غيرهم.

يتمثّل ذلك في: غياب الهدهد، فلولا ثقته بعدالة قائده؛ لَمَا ابتعد عن الجنود، قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾[النّمل:20]، وفي قول النّملة: "وَهُم لا يَشعُرون" في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾[النّمل: 18].

[1] انظر: المرجع السّابق. (2/218-221).

ب. الاعتراف بكرامة الإنسان وحريّته الّتي ولدت معه، بحيث لا يُضرَب أو يُهان بدون جناية.

هذا الاعتراف، والاحترام يبعث في النّفس الأمن، والاستقرار، فالإنسان آمن في ظلّ الإسلام ما لم يرتكب جريمة يستحقّ عليها العقاب، حينئذٍ يكون هو الّذي أهدر كرامته، وجرّد نفسه من حريّته حين وضعها تحت طائلة العقاب.

وإنّ الجنود إذا وَجدوا من قيادتهم حرصًا على عزّتهم، وكرامتهم ضحّوا في سبيلها بكلّ غالٍ ونفيس، وإذا أحسّوا منها بالعمل الدّائب على توفير سعادتهم لم يبخلوا عليها بأنفسهم، وأولادهم. وإنّ من أهمّ ما يوفّر للإنسان عزّته، ويقدّم له سعادته: الأمن والاطمئنان.

تبرز صفة الإيجابيّة في شخصيّة سيّدنا سليمان، عليه السّلام، في قوله: "أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ" في قوله تعالى: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾[النّمل: 21]، فلا يُضرَب الهدهد أو يُهان أو يُعذَب إذا جاء بحجّة ظاهرة فيها عذر لغيبته.

ج. عدم ترويعهم، وتخويفهم ولو على طريق المزاح.

فالتّرويع يقذف في القلب الخوف، ويُشيع في النّفس الرّعب، ولا يأتي مع الخوف، والرّعب الأمان أبدًا. وإنّ الخوف يحطّم معنويات النّاس إذا صدر من إنسان عاديّ، فكيف إذا كان من مصدر السّلطة! لا شكّ أنّ هذا أكثر ترويعًا، وأشدّ تخويفًا، وأثره على النّفس أقسى.

تبرز صفة الإيجابيّة في شخصيّة سيّدنا سليمان، عليه السّلام، في عدم ترويعه للنّمل بعد قول النّملة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾[النّمل: 18].

2. **التّعليم بكافة أنواعه**

التّعليم في الإسلام ضرورة من ضروريات الحياة؛ فالجهل آفة مدمّرة تفتك بصاحبها قبل غيره، ومن هنا كان حرص الإسلام على النّهوض بالمسلمين، ورفع مستواهم العقليّ بالعلم، والجسميّ بالرّخاء، والنّفسي بالأمن. والقيادة الإسلاميّة مسؤولة عن تعليم الرّعيّة، وعليها بذل قصارى جهدها في توفير كلّ ما يُعين على التّعلّم.[1]

لقد رسم الإسلام خطط عمليّة إيجابيّة كثيرة يرفع بها قيمة العلم، ويقدّر العلماء، فلا يُعرف دين سماويّ حارب الأُمّية وجعل العلم فريضة على أتباعه، ووعد بالأجر، والثواب العظيم للعلماء، وطلبة العلم كما جعل الإسلام. وهو مرتبط بالأمن أيضًا، فالشّعور بالاستقرار، والأمن يدفع العقول للابتكار، والابداع ويمنحها النّفع، والانتفاع. وقد برزت صفة الإيجابيّة في شخصيّة سيّدنا سليمان، عليه السّلام، في تعليمه لرعيّته، قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٧﴾[النّمل: 17]، وهذا النّظام، والدِّقة –على الرَّغم من العدد الهائل للجنود–لا يتمّ بدون تعليم مُسبق لهم.

3. **الشُّكر، والرحمة**

قال تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾[النّمل: 19].

تتمثّل صفة الرّحمة في شخصيّة سيّدنا سليمان، عليه السّلام، القائد في قوله تعالى: ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾[النّمل: 18] فهو لم يردّ على هذه النّملة بالقتل! بل برزت صفة الإيجابيّة في تبسّمه ضاحكا من قولها، وتوجّهه إلى الله بطلب الشّكر ليشكر هذه النعمة العظيمة! وبأن يعمل صالحًا يرضاه الله عزّ وجل، وبأن يُدخله الله برحمته في عباده الصّالحين.

[1] انظر: الوكيل، محمد السيّد: القيادة والجنديّة في الإسلام. (2/231،230).

تواضع لا حدّ له، فكأنّه –وهو النّبيّ والمَلِك والعالِم–يشعر بالتّقصير الدّائم لعدم قدرته على شكر النّعمة بما فيه الكفاية. وهذا خُلُق الأنبياء، وهذه هي تربية العقيدة القويمة الّتي توطّد الرّوابط بين النّاس ملوكًا ومملوكين. فالشّخصيّة والقيادة النّاجحة هي الّتي تُوجِد المناخ المناسب الّذي تعيش فيه مع الجنود، وغيرهم كأسرة واحدة يسودها التّفاهم، والتّناصح، والاحترام، والتّواضع، والرّحمة، والتماس الأعذار.

4. صفة الحرص

قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ٢١﴾[النّمل: 20–21].

ها هو سيّدنا سليمان، عليه السّلام، الملك النّبيّ يتفقّد الطّير في موكبه الضخم، فلا يجد الهدهد، وتبرز هنا سمة من سمات شخصيّة سيّدنا سليمان الإيجابيّة ألا وهي: اليقظة، والدّقة؛ فهو لم يغفل عن غيبة جندي من هذا الحشر الهائل من الجنّ، والإنس، والطّير. ثمّ يسأل عنه بصيغة مترفعة مرنة جامعة: {مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ}؟ ويتضح أنّه غائب، ويَعلَم الجميع من سؤال الملك أنّه غائب بغير إذن. وهنا تبرز الشّخصيّة الحازمة؛ كي لا يكون هناك فوضى، فإذا لم يؤخذ الأمر بالحزم كان سابقة سيّئة لبقيّة الجند. ثمّ نجد سيّدنا سليمان الملك الحازم يتهدّد الجنديّ الغائب المُخالف: {لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ}، ولكن سيّدنا سليمان ليس ملكًا جبّارًا في الأرض! إنّما هو نبيّ، وهو لم يسمع بعد حُجّة هذا الهدهد، فلا ينبغي أن يقضي في شأنه قضاءً نهائيًّا قبل أن يسمع منه، وهنا تبرز سمة النّبيّ العادل {أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ}. وبعد أن قصّ عليه الهدهد النّبأ، قال له سيّدنا سليمان: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٧﴾[النّمل: 27] فلم يتسرّع في تصديقه، أو تكذيبه، ولم

يستخفّ بالنّبأ العظيم الّذي جاءه به، إنّما أخذ في تجربته للتّأكد من صحّته –شأن النّبيّ العادل، والملك الحازم–.[1]

5. **صفة القوّة**

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۡۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ٣٦ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُمۡ بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧﴾[النّمل: 36–37].

إنّ العقيدة هي الرّباط الرّوحيّ الّذي لا تنفصم عراه، ولا تستطيع أيّ قوّة على ظهر الأرض أن تنال منه؛ لأنّها رباط إلهي لا تقوى يد البشر على التّصدي له. وهذا المناخ الرّوحيّ الّذي تعيش في رحابه الدّولة الإسلاميّة هو: سرّ قوّتها، وسبب انتصاراتها الّتي أدهشت العالم، وأعجزت المفكرين عن تعليل الفتوحات الهائلة الّتي حقّقها المسلمون.[2]

قال القرضاوي: "الإيمان يمدّنا بروح القوّة، وقوّة الرّوح".[3]

وفي هذه الآية إشارة للقوّة الماديّة الّتي رزقها الله لسيّدنا سليمان، عليه السّلام، من المال والملك؛ ممّا جعله يستغني بها عن هدية ملكة سبأ.

ومن ثمار هذه القوّة في نفس المؤمن، وأخلاقه:

1. التزام الحقّ مع القريب، والبعيد.

والّتي تمثّلت في شخصيّة سيّدنا سليمان، عليه السّلام: بصدقه في كلّ حال، وعدله في كلّ حين بدون تحيّز لأحد.

---

[1] انظر: سيّد قطب: في ظلال القرآن. (2639/5، 2638).

[2] انظر: المرجع السّابق. (242/2).

[3] القرضاوي: الإيمان والحياة. (ص:267).

2. الاستهانة بالقوى الماديّة.

يبرز ذلك في شجاعة سيّدنا سليمان، عليه السّلام، في مواطن البأس، وثباته في مواضع الشّدة، لا تتزلزل له قدم، ولا يتزعزع له ركن.

3. الإخلاص في القول، والعمل.

إنّ الإنسان إذا أخلص لربّه كان أشدّ قوّة من الجبال المُرساة في الأرض كالأوتاد، ومن الحديد القويّ الّذي تنحت به الصّخور، ومن النّار المتأجّجة الّتي تُذيب الحديد. وهذا ما كان من نبيّ الله سليمان، عليه السّلام. فمن مظاهر هذه القوّة عند المؤمن: وضوح خطته، واستقامة طريقه، وثباته عليها، لا يغريه وعد، ولا يُثنيه وعيد، ولا ينحرف به طمع متسلّط، أو هوى جائر، أو شهوة طاغية.[1]

تبرز الإيجابيّة في قصّة سيّدنا سليمان، عليه السّلام، بانشغاله بالدّعوة، وشعوره بالمسؤوليّة عنها اتجاه الآخرين (ملكة سبأ وقومها)، وعدم ادّخاره جهدًا في العمل لها، والسّعي من أجلها. فالشّخصيّة الإيجابيّة هي الشّخصيّة المتواضعة، الحيّة، المتحرّكة، المتفاعلة مع ما حولها، الّتي لا تكلّ، ولا تملّ، ولا تنطفئ لها جذوة حتى تُحقّق غاياتها.

المطلب الثّاني: دور إيمان ملكة سبأ في بناء الشّخصيّة الإيجابيّة الحكيمة

للعقيدة الإسلاميّة دور مؤثّر في بناء شخصيّة ملكة سبأ، ويبرز ذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[النّمل:41-44].

[1] انظر: القرضاوي: الإيمان والحياة. (ص:275-278).

تبيّن الآيات أنّ سيّدنا سليمان قد أعدّ لملكة سبأ مفاجأة، وهي قصرًا من البلور، أُقيمت أرضيّته فوق الماء وظهر كأنّه لُجّة، فلمّا قيل لها: {ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَ} حَسِبَت أنّها ستخوض تلك اللجّة؛ فكشفت عن ساقيها. فلمّا تمّت المفاجأة كشف لها سيّدنا سليمان عن السّرّ فقال: {إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَ}! ووقفت الملكة مدهوشة أمام هذه العجائب الّتي تُعجِز البشر، وتدلّ على أنّ سليمان مسخّر له قوى أكبر من طاقة البشر؛ فرجعت إلى الله مناجية معترفة بظلمها لنفسها في عبادتها غيره سبحانه وتعالى فيما سلف، معلنة إسلامها لله ربّ العالمين. لقد اهتدى قلبها، واستنار. وبيّن السّياق القرآنيّ أنّ الإيمان بالله والإسلام له هي العزّة الّتي ترفع المغلوبين إلى صفّ الغالبين، بل الّتي يصبح فيها الغالب، والمغلوب أخوين في الله. فهذه الملكة تعلّمنا أنّ الإسلام لله يسوي بين الدّاعي والمدعوين، بين القائد والتّابعين؛ فجميعهم يسلمون مع رسول الله، لله رب العالمين.[1]

يبرز في هذه الآيات دور إيمان ملكة سبأ في بناء الشّخصيّة الإيجابيّة الحكيمة، فهذه الملكة الّتي أدهشتها المعجزات، فكّرت بإيجابيّة وحكمة، وأيقنت بأنّ الشّأن شأن عقيدة لا دنيا، فأسلمت بقناعة منها بدعوة الحقّ، وليس بتخوّف من سليمان، وجبروته، قال تعالى: {قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ} فلم تقل إنّها أسلمت لسليمان وإنّما معه. فكان للعقيدة الإسلاميّة الّتي يعتنقها سيّدنا سليمان، عليه السّلام، أثرها في بناء شخصيّة نادمة، مُنقادة، مهتدية، متواضعة، وحكيمة في اتّخاذ قرار الإسلام دون تكبّر، أو استعلاء! وبناء شخصيّة إيجابيّة راضية بهذا القرار على الرّغم من أنّ إسلامها سيساويها مع بقيّة النّاس –وما سيُكرمها عنهم عند الله هو التّقوى، وليس الحكم أو المُلك الّذي تملكه–.

[1] انظر: سيّد قطب. في ظلال القرآن. (2643/5-2642).

المبحث الثّالث: دور العقيدة الإسلاميّة في بناء الشّخصيّة الإيجابيّة من خلال شخصيتيّ الهدهد، والنّملة

المطلب الأوّل: دور عقيدة التّوحيد في بناء الشّخصيّة الإيجابيّة المسؤولة من خلال شخصيّة الهدهد

قصة الهدهد مع سيّدنا سليمان وملكة سبأ فيها العديد من الفوائد الّتي تساعد في بناء شخصيّة إيجابيّة، وتحقيقًا لبيان ذلك سأقوم بتوضيح مشاهد القصّة إلى الآتي:

المشهد الأوّل:

قال تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾[النّمل:22].

أي: فمكث سيّدنا سليمان، عليه السّلام، مدّة يسيرة منذ أن سأل عن الهدهد حتّى جاءه، فقال له: أحطتُ بعلمٍ لم تُحِط به أنت، وجئتك من سبأٍ بخبرٍ يقين.[1]

{فقال}: الفاء دالّة على التعقيب. لأنّ الهدهد رأى سيّدنا سليمان غاضبًا وهو يعرف حزمه وشدّته؛ فبادره بالحديث عن مفاجأة طَغَت على موضوع غيبته قبل أن ينطق عليه السّلام. النّبأ: لا يُقال إلاّ للخبر العجيب الهام المُلفِت للنظر. الإحاطة: إدراك المعلوم من كل جوانبه. فمقالة الهدهد أنّه عرف ما لم يعرف سيّدنا سليمان الملِك الّذي سخّر الله له كل شيء أذهل سيّدنا سليمان، وشوّقه لمعرفة الخبر. وقول الهدهد لا يُعدّ من قبيل النقص في سيّدنا سليمان وإنّما يُعدُّ تكريما له؛ لأنّ ربّه عزّ وجلّ سخّر له من يخدمه. وفرق بين أن تفعل أنتَ الشّيء، وبين أن يُفعل لك، فحين يُفعل لك؛ فهذه زيادة سيادة وعلوّ مكانة.[2]

---

[1] انظر: الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن. (445/19).

[2] انظر: الشعراوي، محمد متولي، (ت: 1418هـ): تفسير الشعراوي. 20مج. مطابع أخبار اليوم. (10768/17-10771).

المشهد الثّاني:

بدأ الهدهد في هذا المشهد بتفصيل هذا النّبأ اليقين:

قال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ٢٤ أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ٢٥ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٦﴾[النمل: 23-26].

فذكر أنّه وجد امرأة تحكم مملكة سبإ، {وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ} وهي كناية عن عظمة ثرائها، وملكها وتوافر أسباب القوّة، والمتاع، والحضارة. {وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ} أي: سرير ضخم فخم يدل على التّرف، والغِنى، وارتقاء الصّناعة. ثمّ ذكر أنّها وقومها يسجدون للشّمس من دون الله سبحانه وتعالى. ويُعلّل ضلالهم بأنّ الشّيطان قد زيّن لهم أعمالهم، وكفرهم، ومعاصيهم وحسّنها؛ فأضلّهم، فهم لا يهتدون إلى عبادة الله العليم الخبير الّذي يُخرج كل مخبوء (المُبالغ في إخفاءه بحيث لا يطلّع عليه سوى الله سبحانه وتعالى من وراء ستار الغيب في الكون العريض)، والّذي يعلم ما ظهر من أطواء النّفس وما بطن.

والهدهد يقف حتّى هذه اللحظة موقف المُذنب الّذي لم يقضِ المَلِك في أمره بعد، فهو يُلمّح في ختام النبأ الّذي يقصّه إلى الله الملك القهار، ربّ الجميع، صاحب العرش العظيم الّذي لا تُقاس إليه عروش البشر في ممالكهم المحدودة!

وهنا نجد أنفسنا أمام هدهد عجيب، صاحب إيمان، وإدراك، وذكاء، وبراعة في عرض النبأ، ويقظة إلى طبيعة موقفه، وتلميح وإيماء أريب. فهو هدهد خاص أوتيَ هذا الإدراك الخاص على سبيل الخارقة الّتي تخالف المألوف! فهو يدرك أنّ هذه ملكة وأنّ هؤلاء رعيّة، ويدرك أنّهم يسجدون للشمس من دون الله، ويدرك أنّ السّجود لا يكون إلا لله ربّ العرش العظيم الّذي يُخرج الخبء في السّماوات، والأرض.[1]

[1] انظر: سيّد قطب: في ظلال القرآن. (2638،2639/5).

هذه المشاهد تُبيّن لنا دور العقيدة الإسلاميّة في بناء شخصيّة الهدهد، فإيمانه بالله سبحانه وتعالى وتوحيده له، جعله يشعر بالمسؤولية والواجب الدّعويّ الّذي عليه. فليس القائد فقط مَن يجب أن يحمل همّ الدعوة، وإنّما من سِمات الشّخصيّة القياديّة النّاجحة: بثّ روح الهمّة، ونفث همّ الدّعوة في التّابعين، وإلزامهم بالسّير على منهاج القضيّة الّتي تؤمن بها. ومن سِمات الشّخصيّة الجنديّة الإسلاميّة الإيجابيّة: إدراك مسؤوليتها، وواجبها نحو دينها، وأمّتها. فكلّ جنديّ على ثغر من ثغور الإسلام يُحافظ عليها ويدافع عنها حتى لا تؤتى من قبله. وهذه العلاقة بين القيادة والجنديّة من أهم أسباب تعمير الأُمم واستمرارها في حمل رسالتها حتى لو لم يعد القائد موجودًا.

المطلب الثّاني: دور صفة المسؤوليّة والحرص على المصلحة العامّة في بناء الشّخصيّة الإيجابيّة من خلال شخصيّة النّملة

للعقيدة الإسلاميّة دور مؤثّر في بناء شخصيّة النّملة الإيجابيّة، وهذا ما سأبيّنه فيما يأتي.

قصّة النّملة مع سيّدنا سليمان عليه السّلام

سار موكب سيّدنا سليمان، عليه السّلام، من الإنس، والجنّ، والطّير، يُجمَعُ أوّله على آخره في ترتيب، ونظام.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾[النمل: 18].

حتّى إذا أتَوا على وادٍ كثير النّمل، ومملكة النّمل كمملكة النحل: دقيقة التّنظيم، تتنوّع فيها الوظائف، وتؤدّى كلّها بنظام عجيب، يعجز البشر غالبًا عن اتباع مثله على ما أوتوا من عقل واعٍ، وإدراكٍ عالٍ! {قَالَتۡ نَمۡلَةٞ} –لها صفة الإشراف والتّنظيم–على النّمل السّارح في الوادي، باللّغة المتعارفة بينها: ادخلوا مساكنكم؛ كي لا يحطمنّكم سليمان، وجنوده وهم لا يشعرون بكم!

قال تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾[النّمل: 19].

ونقف هنا أمام خارقتين:

1. خارقة إدراك سيّدنا سليمان لتحذير النّملة لقومها، وهي ممّا علّمه الله له فهو إنسان ونبيّ.
2. خارقة إدراك النّملة أنّ هذا سليمان، وجنوده.

فقد تدرك النّملة أنّ هؤلاء خلق أكبر، وأنّهم يحطّمون النّمل إذا داسوه، وقد يهرب النّمل من الخطر بحكم ما أودع الله فيه من القوى الحافظة للحياة. أمّا أن تُدرك النّملة أنّ هؤلاء الشخوص هم: سليمان وجنوده، فتلك هي الخارقة الخاصّة الّتي تخرج على المألوف![1]

وفصّل فاضل السّامرائي الإعجاز البيانيّ في هذه الآية العظيمة بقوله:

هذه النّملة أحسّت، وبادرت، ونادت، ونبّهت، وأمرت، وأكّدت، ونصحت، وبالغت (يحطمنّكم-بالجمع)، وبيّنت، وأنذرت، ونفت، وأَعذَرَت!

{يَٰٓأَيُّهَا}: نداء للتنبيه. {ٱدْخُلُواْ}: أمر يُخاطَب به العقلاء. {مَسَٰكِنَكُمْ}: الجميع يدخل لمسكنه ويستقرّ فيه، والضمير (كم) يخاطَب به العقلاء. {سُلَيْمَٰنُ}: لم تذكر الصّفة؛ لأنّ الموقف لا يحتمل ذلك، وأيضًا فهو معروف عند الجميع. {وَجُنُودُهُۥ} الإضافة لسيّدنا سليمان فيها زيادة تعظيم له. {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} نفت الشّعور. {لَا يَحْطِمَنَّكُمْ}: دلالة على إعجاز علميّ، وهو أنّ جسم النّمل مصنوع من مادة سليكونيّة قابلة للتحطُّم.[2]

---

[1] انظر: سيّد قطب: في ظلال القرآن. (5/2637، 2636).

[2] انظر: السامرائي، فاضل: حلقة يوتيوب قالت نملة يا أيها النمل. تقديم: محمد خالد. إنتاج: قناة الشارقة.2008/05/24. رابط الحلقة: https://www.youtube.com/watch?v=06iiUQdyuDo

يبرز دور العقيدة الإسلاميّة في بناء شخصيّة النّملة في قوله تعالى: {قَالَتۡ نَمۡلَةٞ} نملة جاءت نكرة، أيّ أنّها ليست نملة خاصّة وإنّما من عامة الشّعب، لكنّها شعرت بالمسؤولية اتجاه أفراد قومها، فبيّنت الخطر: {لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ}، واقترحت الحلّ فورًا: {ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ}؛ فتحرّكت، وحرّكت المجتمع!

فهي إذًا نملة حكيمة ذات شخصيّة قمّة في الإيجابيّة، تُعلّمنا الحرص على مصالح النّاس، وعدم الفرديّة؛ وذلك بنصحها لقومها، وحرصها على نجاتهم، وبالتماس الأعذار لغيرها.

المبحث الرّابع: دور العقيدة الإسلاميّة في بناء الشّخصيّة الإيجابيّة من خلال قصتيّ صالح، ولوط عليهما السّلام

تمهيد

للعقيدة الإسلاميّة دور مؤثر في بناء الشّخصيّة الإيجابيّة من خلال قصّة سيّدنا صالح عليه السّلام، وهذا ما سأُبيّنه فيما يأتي.

المطلب الأوّل: دور صفة العلم والإيمان بالغيب في بناء الشّخصيّة الإيجابيّة الصابرة الرحيمة من خلال قصّة سيّدنا صالح عليه السّلام

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ ٤٥ قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٤٦ قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ٤٧﴾[النّمل: 45-47].

نلحظ في الآية الكريمة أنّ الله سبحانه وتعالى وصف سيّدنا صالح بقوله: {أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا}: والوصف بكلمة أخ، يوحي أنّ علاقة الدّعوة ليست علاقة جافّة، وليست علاقة عداوة بين مؤمن وكافر. بل هي علاقة عطف ورحمة بين مؤمن وأخوه في الإنسانيّة، ولو كان كافرًا! فهو يحبّ له الخير، ويكره أن يُلقى في النّار.[1]

إنّ العقيدة الإسلاميّة هي أساس رحمة القلب. والشّعور بولاية الله سبحانه وتعالى، ومعيّته هي منبع التّسليم، والشّعور بالتّفاؤل، والإيجابيّة في الإنسان.

[1] انظر: سليمان، فاضل: حلقة يوتيوب من مقاطع حظر التجول تدبر سورة النمل الآيات 45-53. إنتاج: Bridges Foundation 2020/07/18. رابط الحلقة: https://2u.pw/HJWIWF

ويبرز ذلك في علاقة سيّدنا صالح عليه السّلام مع قومه، فبالرّغم مِن تكذيب مَن كفر مِن قومه برسالة التّوحيد الّتي دعا إليها، واستعجلَ عذاب الله سبحانه وتعالى؛ لم يدعُ عليهم بالهلاك والدمّار، بل صبر على أذاهم وتودّد إليهم وردّ قائلاً بعطف، وشفقة، ورحمة، وإيجابيّة ناسبًا إيّاهم إليه: {يَٰقَوۡمِ}! هلاّ تطلبون المغفرة من الله ابتداءً، وتتوبون إليه؛ رجاءَ أن تُرحموا؟!

فما كان ردّهم إلاّ أن قالوا: {ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ} أي تشاءمنا منكم.

إنّ الإنسان بحاجة دائمًا للسّعي لإرضاء الجزء الرّوحاني الّذي في داخله، فالمؤمن يُغذّي هذا الجزء الخاص بالرّوحانيّات، عن طريق التّواصل مع خالقه. فالطّريقة الصّحيحة لإذكاء الرّوحانيّات عند الإنسان هي بالتّواصل مع مصدر الرُّوح (الله عزّ وجلّ)، وهذا ما تدعو إليه العقيدة الإسلاميّة.

في حين أنّ الكافر يلجأ إلى مسائل أخرى تُعالِج المسألة الرّوحانيّة: كالتّشاؤم، والسّحر؛ لكي يُعوِّض هذا الجزء المفقود لديه. ولكنّ تغذية الرُّوح بالسّحر والشّعوذة، هي تغذية فاسدة، تُشبعُهُ مؤقتًا، وتؤدّي بعد ذلك إلى إصابته بأمراضٍ شتّى. وهذا يُبيّن أنّ الكفر مُتهافِت دومًا، وسببه نفسيّ، وليس له علاقة بالبحث عن الحقيقة أو الدليل[1]؛ فالنّفس البشريّة إذا لم تَكِل المجهول المُغيَّب إلى الإيمان بعلاّم الغيوب، وكّلته إلى هذه الخرافات، والأوهام الّتي لا تخضع لعقل، ولا تقف عند حدّ، ولا تنتهي إلى اطمئنان ويقين[2].

يبرز دور العقيدة الإسلاميّة في تكوين سِمة الإيجابيّة في شخصيّة سيّدنا صالح عليه السّلام، وذلك في ردّه على قومه: {قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ} فالمستقبل عند الله، ليس في الطّائر الّذي نسبوا إليه الخير، والشّر، بل أنتم قوم تُمتَحَنون.

[1] انظر: سليمان، فاضل: حلقة يوتيوب من مقاطع حظر التجول تدبر سورة النمل الآيات 45-53.

[2] انظر: سيّد قطب: في ظلال القرآن. (2645/5).

فالشّرك كما تبيّن سابقًا هو: مصدر للجهل، والمخاوف، والأوهام، والخزعبلات، والانحرافات، ومعطّل لإيجابيّة الإنسان. في حين أنّ العقيدة الإسلاميّة هي مصدر المعرفة الصّحيحة، والحقيقة الواضحة، الّتي تُحصّل لصاحبها أسباب التّفاؤل والتّفكير الإيجابيّ بالرّغم من الإحاطة بالظّلم والأذى.

المطلب الثّاني: دور صفة العبوديّة والعلم بالله في بناء الشّخصيّة الإيجابيّة من خلال قصة سيّدنا لوط عليه السّلام

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾[النّمل: 54-59].

تبيّن هذه الآيات دور صفة العبوديّة، والعلم بالله في بناء الشّخصيّة الإيجابيّة، ويبرز ذلك في قوله تعالى: {بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ}: فكلمة تجهلون هي كلمة جامعة للجهل، تبيّن مدى خطورة هذه الفاحشة على: علاقة الإنسان بربّه، على نفسيّة الإنسان وعقله، وعلى تماسك المجتمع وثباته! وقد تميّز سيّدنا لوط عليه السّلام من قومه بصفة العبوديّة الّتي عصمته من الفواحش الّتي أتاها قومه، وصفة العلم بالله الّتي جعلته يفكّر بإيجابيّة ويحرِص على إيمان قومه، ويسعى لنجاتهم من العذاب الدّنيويّ، والأُخرويّ على الرّغم من تكذيبهم له، واستهزائهم به، وبمن معه، واتّهامهم بالتّطهُّر من الأدناس الّتي يقومون بها، قال تعالى: {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ}.

المبحث الخامس: دور العقيدة الإسلاميّة في بناء الشّخصيّة المتوازنة

تمهيد

إنّ الإيمان باليوم الآخر هو أحد أركان الإيمان الّتي لا يستقيم ولا يتمّ إيمان العبد إلا بها جميعًا، وممّا يدلّ على أهميّته: كثرة ذكره في كتاب الله، وربطه بالإيمان بالله سبحانه وتعالى. وفي الإيمان به فوائد عظيمة، ومنافع جليلة سأبيّنها فيما يأتي.

المطلب الأوّل: التّعريف بعقيدة الإيمان اليوم الآخر وأهميّته

عرّف ابن تيميّة اليوم الآخر بأنّه: "الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النّبيّ صلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلّم مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ".[1]

وبيّن محمّد نعيم ياسين أنّ معنى الإيمان بعقيدة اليوم الآخر –بصورة إجمالية–: الإيمان بكل ما أخبر به الله سبحانه وتعالى في كتابه، وأخبر به رسوله صلّى الله عليه وسلّم ممّا يكون بعد الموت من فتنة القبر، وعذابه، ونعيمه، والبعث، والحشر، والصّحف، والحساب، والميزان، والصّراط، والشّفاعة، والحوض، والجنّة والنّار، وما أعدّ سبحانه وتعالى لأهلهما جميعًا.[2]

من خلال ما تقدّم ندرك **ضرورة الإيمان بعقيدة اليوم الآخر**، فهو أحد أركان الإيمان السّتة، وهو العنصر الهام الّذي يلي الإيمان بالله سبحانه وتعالى مباشرة. فالإيمان بالله يحقّق المعرفة بالخالق الّذي خلق الكون سبحانه وتعالى، والإيمان باليوم الآخر يحقّق المعرفة بالمصير الّذي يَنتهي إليه هذا الوجود وعلى ضوء المعرفة بالمصدر، والمصير، يُمكن للإنسان أن يرسم غايته، ويحدّد هدفه، ويتّخذ من الذّرائع، والوسائل ما يوصله إلى هدفه، ويبلّغه غايته. ومتى فقد الإنسان هذه المعرفة، فإنّ حياته سوف تبقى بلا هدف، ولا

---

[1] انظر: ابن تيميّة، تقي الدين، (ت: 728هـ): العقيدة الواسطيّة. 1مج. تحقيق: أشرف بن عبد المقصود. ط2. الرياض: أضواء السلف 1420هـ، (ص:95).

[2] انظر: ياسين، محمد نعيم: الإيمان أركانه حقيقته نواقضه. 1مج. الإسكندرية: دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر والتوزيع، (ص:43).

غاية؛ وحينئذٍ يفقد الإنسان فضائله العليا، وسموّه الرّوحي، ويعيش كما تعيش الأنعام، تسيّرها غرائزها الطّبيعيّة، واستعداداتها الفطريّة، وهذا هو الانحطاط الرّوحيّ المدمّر لشخصيّة الإنسان.[1]

وتبرز أهميّة الإيمان باليوم الآخر بتسمية بعض السور القرآنية على اسمه كسورة الحاقّة، وسورة القارعة، وبكثرة ذكره وتأكيد وقوعه بشتّى الأساليب اللّغويّة في كتاب الله عزّ وجلّ.

وقد تفرّدت سورة النّمل كما بيّنتُ سابقًا بذكر علامة من علامات اليوم الآخر هي: إخراج الدابّة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾[النّمل: 82]، وهذه العلامة تُفيد التّرهيب من عدم الإيمان، وتدفع المؤمن للثّبات على إيمانه.

وأمّا حكمة الاهتمام البالغ بهذا الرّكن، فمنها:

1. الإيمان باليوم الآخر له أثر عظيم في حياة الإنسان، في توجيهه، وانضباطه، والتزامه بالعمل الصّالح وتقوى الله عزّ وجلّ.

ويشير إلى هذه الحكمة أسلوب القرآن في الرّبط بين الإيمان باليوم الآخر، والعمل الصّالح، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴿١٨﴾﴾[التوبة: 18]، وقوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾[الماعون:1-3].

{يَدُعُّ}: يظلم، {وَلَا يَحُضُّ}: لا يحافظ على إطعام المسكين ولا يأمر به.[2]

2. غفلة العباد عنه، وكثرة نسيانهم له؛ بسبب تثاقلهم إلى الأرض وحبّهم لمتاع الدّنيا.

---

[1] انظر: سابق، سيّد، (ت:1420هـ): العقائد الإسلاميّة. 1مج. بيروت: دار الكتاب العربي، (ص:259).

[2] انظر: الفرّاء، يحيى بن زياد، (ت: 207هـ): معاني القرآن. 3مج. تحقيق: أحمد النجاتي، محمد النجار، عبد الفتاح الشلبي. ط1. مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة، (294/3).

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾[التوبة: 38].

{ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ}: "قعدتم ولم تخرجوا، وركنتم إلى المقام".[1]

3. وجود اليوم الآخر يُثير استغراب الكافرين وتعجّبهم.

قال تعالى: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ٣﴾[ق: 1-3].[2]

المطلب الثّاني: دور عقيدة الإيمان باليوم الآخر في بناء الشّخصيّة المتوازنة بين الدّنيا والآخرة

بيّن سيّد قطب أنّ: الإيمان بالله، واليوم الآخر، والتّقوى وتحقيق منهج الله سبحانه وتعالى في واقع الحياة البشريّة، يكفل لأصحابه صلاح الدّنيا، ويُحقّق لهم جزاء الآخرة. فليس هناك طريق مُستقل لصلاح الحياة في الدّنيا، ولِحُسن الجزاء في الآخرة؛ إنّما هو طريق واحد، تصلُح به الدّنيا والآخرة، فإذا تنكّب (مالَ) الإنسان عن هذا الطّريق فسدت دنياه، وخسر آخرته.[3]

وقد تمثّل ذلك في قوله تعالى: ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٣﴾[النّمل:1-3].

فالآيات تُرشِد المؤمنين إلى طريق الفوز في الدُّنيا، والآخرة، فهي هداية لهم في الدُّنيا، وبشرى لهم بحسن الثّواب في الآخرة.

---

[1] ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، (ت: 276هـ): غريب القرآن. 1مج. تحقيق: سعيد اللحام. (ص:162).

[2] انظر: ياسين: الإيمان أركانه حقيقته نواقضه. (ص:45،44).

[3] انظر: سيّد قطب: التّربية الإسلاميّة في ظلال القرآن. (ص:92).

قال محمد نعيم ياسين: "لمّا كان الإنسان مفطورًا على طلب المصلحة لنفسه، ودفع المفسدة عنها؛ كان الإيمان باليوم الآخر مُقوّيًا للوازِع النّفسيّ عنده، ذلك الوازع الّذي يرغب في الخير ويَصُدّ عن الشر؛ لذلك كانت عناية القرآن بكثرة التّذكير به، والتّفنن في تصويره حتّى يتعمّق ذلك الوازع في قلب المؤمن ويشتدّ تأثيره".[1]

وقد بيّن صلاح الخالدي أنّ الإيمان باليوم الآخر يعني أن يسعى المؤمن في الدّنيا، ونظره إلى اليوم الآخر، ألاّ ينسى هذا اليوم في أيّ لحظة من لحظات حياته، في ليله ونهاره، وارتباطه وصلاته، وكلامه وعباراته، وعمله ووظيفته، وحركته وجهده وجهاده، ومواقفه واختياراته وولاءاته.

فالإيمان باليوم الآخر يعني أن يَعيشه هذا المؤمن، ويقطف ثماره في حياته: إيمانًا وأمنًا، وطاعة وتقوى، وطمأنينة وعزًّا، وخوفًا ورجاءً، وكرامة وإباءً، وتحرُّجًا وحَذَرًا. أن يعيش هذه الآثار في واقعه، وكيانه، وحياته.[2]

ومن الأدلة في سورة النّمل على الإيمان باليوم الآخر وردّ شُبَه المنكرين له، قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ٦٧ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٦٨ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٦٩﴾[النّمل: 66-69].

بيّن الزّحيلي أنّ هذه الإضرابات الثلاثة بكلمة (بل) تدرّج في وصف منكري البعث، فهم:

1. لا يشعرون بوقت البعث ولا يعلمون متى يكون.
2. ثمّ إنّهم يتخبّطون في الشّكوك فلا يزيلونها، والإزالة مُستطاعة.
3. ثمّ هم عمي البصيرة لا يدركون الحقائق، وهذا غاية الحطّة، والدّنو.

[1] ياسين: الإيمان أركانه حقيقته نواقضه. (ص:44).

[2] انظر: الخالدي: في ظلال الإيمان. (ص:84).

وقد أرشد الله سبحانه تعالى هؤلاء المنكرين للآخرة إلى صواب الاعتقاد، وذلك بالسّير في البلاد والنّظر في مصير المكذّبين من قبلهم، الّذين اغتروا بدنياهم، وفُتنوا بزخارفها، وكذّبوا رسلهم، وأنكروا اليوم الآخر؛ فأهلكهم الله بذنوبهم، فانظر كيف كان عاقبة المجرمين، الّذين أجرموا في عقائدهم الفاسدة.[1]

يتبين ممّا سبق أنّ للإيمان بعقيدة اليوم الآخر دورًا عظيمًا في بناء شخصيّة متوازنة بين الدّنيا، والآخرة؛ فالمؤمن بوجود يوم يُحاكَم فيه الإنسان على أقواله، وأعماله أمام أعدل العادلين يجعل منه إنسانًا منضبطًا في حدود الحقّ، والخير، والصّلاح، ابتغاء وجه الله ورضوانه وطمعًا بالأجر، والثّواب في الآخرة؛ فيُصبح ويُمسي مراقبًا لله سبحانه وتعالى في كلّ أموره، محاسبًا لنفسه على كلّ صغيرة وكبيرة، متدبرًا في عاقبته؛ فبذلك لا يظلم، ولا يخون، ولا يقتل، ولا يستكبر، ولا يطغى، ولا يجحد. في حين أنّ غير المؤمن بعقيدة اليوم الآخر؛ يتفلّت من أيّ ضابط سوى هواه، وشهوته، فالغاية عنده غاية أنانيّة (ترتكز على مصلحته الشّخصيّة، ومنفعته الذّاتيّة) تُبرر له أيّة وسيلة، وأيّ خُلُق، وعمل مهما كان ضرره.

[1] انظر: الزحيلي، وهبة بن مصطفى: التفسير الوسيط للزحيلي. 3مج. ط1. دمشق: دار الفكر 1422هـ، (2/1889،1888).

الخاتمة

النّتائج والتوصيات

النّتائج

1. أهم الحقائق العقديَّة الّتي ركّزت عليها سورة النّمل: عقيدة التّوحيد.
2. أهم المعيقات الّتي تصدّ النّاس عن الإيمان بالله سبحانه وتعالى الواردة في سورة النّمل: غفلة القلب، وتزيّين المعصية، والاستكبار عن اتباع الحقّ، والجهل، وتزيّين الشّيطان للباطل وصدّه عن سبيل الحق، والمال، والجاه، والسّلطة، والتّقليد الأعمى للآباء، والتّطيّر والتشاؤم، واعتياد النّعم.
3. للإيمان بصفة قدرة الله المطلقة دور في بناء الجانب العقليّ في الشّخصيّة؛ وذلك من خلال الإيمان العقليّ العلميّ اليقينيّ.
4. للعقيدة الإسلاميّة دور في بناء الجانب العاطفيّ في الشّخصيّة من خلال تحقيق العبوديّة لله سبحانه وتعالى وحده، وتحقيق خُلُق الشّكر، والطّمأنينة والثّقة بالله تعالى.
5. للعقيدة الإسلاميّة دور في بناء الشّخصيّة الإيجابيّة، والمتوازنة من خلال قصص الأنبياء، والحثّ على العمل.
6. لعقيدة الإيمان باليوم الآخر دور في بناء الشّخصيّة المتوازنة بين الدّنيا، والآخرة فالمؤمن بوجود يوم جزاء؛ ينضبط في حدود الحقّ، والخير، والصّلاح، بخلاف غير المؤمن بها فهو يتفلّت من أيّ ضابط سوى شهوته، وهواه.

التوصيات

توصي الباحثة بتسليط الضّوء على دور العقيدة الإسلاميّة في بناء وتمكين الإنسان المسلم –في شتّى جوانب حياته–في ضوء سور القرآن الكريم، كسورتي: الأنبياء، وطه.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الأزديّ، محمد بن الحسن: جمهرة اللّغة. 3مج. تحقيق: رمزي منير بعلبكي. ط1. بيروت: دار العلم للملايين 1407هـ.

الأصفهانيّ، الرّاغب: الذّريعة إلى مكارم الشّريعة. 1مج. تحقيق: أبو اليزيد أبو زيد العجمي. القاهرة: دار السّلام 1428هـ.

الأصفهانيّ، الرّاغب: المفردات في غريب القرآن. 1مج. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. ط1. دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية 1412هـ.

الألوسي، محمود بن عبد الله: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني. 16مج. تحقيق: علي عبد الباري عطية. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية 1415هـ.

الأنصاريّ، فريد: جماليّة الدّين معارج القلب إلى حياة الرّوح. ط5. مصر: دار السّلام 1436هـ.

الجامع البخاريّ، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصّحيح المختصر من أمور رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه، ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ.

البغويّ، الحسين بن مسعود: معالم التّنزيل في تفسير القرآن. 5مج. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي 1420هـ.

أبو البقاء، أيوب بن موسى: الكليات. 1مج. تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري. بيروت: مؤسسة الرّسالة.

البقاعي، إبراهيم بن عمر: نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور. 22مج. القاهرة: دار الكتاب الإسلاميّ.

البنا، حسن: العقائد. تحقيق: رضوان محمد رضوان. الإسكندرية: دار الدعوة.

البوطيّ، محمد سعيد رمضان: الحكم العطائيّة شرح وتحليل. 5مج. دمشق: دار الفكر 1424هـ.

البوطيّ، محمد سعيد رمضان: كبرى اليقينيات الكونيّة. 1مج. ط40. دمشق: دار الفكر 1439هـ.

البيضاويّ، عبد الله بن عمر: أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل. 5مج. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي 1418هـ.

ابن تيمية، تقي الدين: العقيدة الواسطيّة. 1مج. تحقيق: أشرف بن عبد المقصود. ط2. الرياض: أضواء السلف 1420هـ.

ابن تيمية، تقي الدين: مجموع الفتاوى. 35مج. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف 1416هـ.

الجرجانيّ، علي بن محمد: التّعريفات. 1مج. تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية 1403هـ.

ابن الجوزيّ، عبد الرحمن: تلبيس إبليس. 1مج. ط1. بيروت: دار الفكر للطّباعة والنّشر 1421هـ.

حتحت، عطاف محمود محمد: دور العقيدة في بناء الشّخصيّة المسلمة في سورة يوسف. (رسالة ماجستير منشورة). الجامعة الإسلاميّة. غزة. فلسطين 1430هـ.

الدّمشقيّ، علي بن علي: شرح العقيدة الطّحاويّة. 1مج. تحقيق: بشير محمد عيون. ط2. بيروت 1408هـ.

الرّازي، محمد بن عمر: مفاتيح الغيب. 32مج. ط3. بيروت: دار إحياء التراث العربي 1420هـ.

الزّحيلي، وهبة بن مصطفى: التّفسير الوسيط للزّحيلي. 3مج. ط1. دمشق: دار الفكر 1422هـ.

الزّغلول، عماد والهنداوي، علي: مدخل إلى علم النّفس. ط8. الإمارات: دار الكتاب الجامعيّ 1435هـ.

الزّمخشري، محمود بن عمرو: الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل. 4مج. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي 1407هـ.

أبي زهرة، محمّد بن أحمد: زهرة التّفاسير. 10مج. دار الفكر العربي.

سابق، سيّد: العقائد الإسلاميّة. 1مج. بيروت: دار الكتاب العربي.

السّعديّ، عبد الرحمن: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. 1مج. ط1. مؤسسة الرّسالة 1420هـ.

السّكران، إبراهيم عمر: رقائق القرآن. 1مج. ط3. الرّياض: دار الحضارة للنّشر والتّوزيع 1435هـ.

سيّد قطب: التّربية الإسلاميّة في ظلال القرآن. 1مج. جمع وإعداد: عبد الله ياسين. ط1. عمان: دار الأرقم، بيروت: دار القبس 1403 هـ.

سيّد قطب: في ظلال القرآن. 6مج. ط10. القاهرة: دار الشروق 1401هـ.

سيّد قطب: معالم في الطّريق، 1مج. ط1. فلسطين 1425هـ.

سيّد قطب: مقومات التّصور الإسلاميّ، دار الشروق–القاهرة، ط6–1427هـ.

السّيوطيّ، جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن. 4مج. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الهيئة المصريّ العامة للكتاب 1394هـ.

السيوطيّ، جلال الدين: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع. 1مج. ط1. الرياض: مكتبة دار المنهاج للنشر والتّوزيع 1426هـ.

الشّعراويّ، محمد متولي: تفسير الشّعراوي. 20مج. مطابع أخبار اليوم. (10768/17-10771).

الشّنقيطيّ، محمد الأمين: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. بيروت: دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع 1415هـ.

الصّابونيّ، محمد علي: صفوة التّفاسير. 3مج. ط1. القاهرة: دار الصابوني 1417هـ.

الطّبريّ، محمد بن جرير: جامع البيان في تأويل القرآن. 24مج. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط1. مؤسسة الرّسالة 1420هـ.

ابن عاشور، محمد الطّاهر: التّحرير والتّنوير. 30مج. تونس: الدار التونسية للنشر 1984هـ.

عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. 1مج. ط2. بيروت: دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع.

عزام، عبد الله: العقيدة وأثرها في بناء الجيل. 1مج.

العقّاد، عباس محمود: التّفكير فريضة إسلامية. 1مج. ط1. مصر: شركة نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع 1427هـ.

عمارة، محمد: مقام العقل في الإسلام. 1مج. ط1. مصر: شركة نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع 1429هـ.

عمر، أحمد مختار+فريق عمل: معجم اللّغة العربيّة المعاصرة. 4مج. ط1. عالم الكتب 1429هـ.

الغزاليّ، أبو حامد محمد: إحياء علوم الدين. 4مج. بيروت: دار المعرفة.

الغزاليّ، محمد: الجانب العاطفيّ في الإسلام. 1مج. ط1. الإسكندرية: دار الدعوة 1410هـ.

الغزاليّ، ركائز الإيمان بين العقل والقلب. 1مج. القاهرة: دار الاعتصام 1399هـ.

ابن حجر، أحمد بن علي: فتح الباري شرح صحيح البخاري. 13مج. بيروت: دار المعرفة 1379هـ.

ابن فارس، أحمد الرّازيّ: معجم مقاييس اللغة. 6مج. تحقيق: عبد السّلام محمد هارون. دار الفكر 1399هـ.

الفرّاء، يحيى بن زياد: معاني القرآن. 3مج. تحقيق: أحمد النجاتي، محمد النجار، عبد الفتاح الشّلبي. ط1. مصر: دار المصريّة للتّأليف والتّرجمة.

الفقي، إبراهيم: التّفكير السّلبيّ والتّفكير الإيجابيّ. مصر: الراية للنشر والتّوزيع 1429هـ.

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط. 1مج. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرّسالة. ط8. بيروت: مؤسسة الرّسالة للطّباعة والنّشر والتّوزيع 1426هـ.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم :غريب القرآن. 1مج. تحقيق: سعيد اللحام.

القرضاويّ، يوسف: الإيمان والحياة. 1مج. ط4. بيروت: مؤسسة الرّسالة 1399هـ.

القرضاويّ، يوسف: حقيقة التّوحيد. 1مج. ط9. القاهرة: مكتبة وهبة 1431هـ.

القرضاويّ، يوسف: الصّحوة الإسلاميّة من المراهقة إلى الرشد. مصر: دار الشروق.

القرضاويّ، يوسف: العقل والعلم في القرآن الكريم. 1مج. ط1. القاهرة: مكتبة وهبة 1416هـ.

القرطبيّ، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن. 20ج–10مج. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط2. القاهرة: دار الكتب المصرية 1348هـ.

ابن القيّم، محمد بن أبي بكر: الدّاء والدّواء. 1مج. ط1. المغرب: دار المعرفة 1418هـ.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر: طريق الهجرتين وباب السّعادتين. 1مج. ط2. القاهرة: 1394هـ.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مدارج السّالكين بين منازل إيّاك نعبد وإيّاك نستعين. 2مج. تحقيق: محمد المعتصم بالله البغداديّ. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي 1416هـ.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم. 8مج. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. ط2.

الكيلاني، ماجد: مقوّمات الشّخصيّة المسلمة أو الإنسان الصّالح. ط1. قطر: رئاسة المحاكم الشّرعيّة والشّؤون الدّينيّة.

الماتريدي، محمد بن محمد: تفسير الماتريدي. 10مج. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية 1426هـ.

مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، ومحمد النجار): المعجم الوسيط. 2مج. دار الدعوة.

مراد، يوسف: مبادئ علم النّفس العام. ط1. مصر: دار المعارف 1948م.

مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. 5مج. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الملا علي القاري، علي بن سلطان محمد: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. 9مج. ط1. بيروت: دار الفكر 1422هـ.

المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين: التّوقيف على مهمات التّعاريف.1مج. ط1. القاهرة: عالم الكتب 1410هـ.

ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب. 15مج. ط3. بيروت: دار صادر 1414هـ.

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة: العقيدة الإسلاميّة وأسسها. 1مج. ط14. دمشق: دار القلم 1430هـ.

هراس، محمد خليل: دعوة التّوحيد. 1مج. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية 1406هـ.

الهرري، محمد الأمين: تفسير حدائق الرّوح والرّيحان. 33مج. تحقيق: هاشم محمد علي. ط1. بيروت: دار طوق النجاة 1421 هـ.

الهلاليّ، مجدي: حقيقة العبوديّة. 1مج. القاهرة: مؤسسة اقرأ للنشر والتّوزيع والترجمة.

الوكيل، محمد السيّد: القيادة والجنديّة في الإسلام. 2مج. المنصورة: دار الوفاء للطّباعة والنّشر والتّوزيع.

ياسين، محمد نعيم: الإيمان أركانه حقيقته نواقضه. 1مج. الإسكندرية: دار عمر بن الخطاب للطّباعة والنّشر والتّوزيع.

المراجع الإلكترونيّة:

السّامرائي، فاضل: حلقة يوتيوب قالت نملة يا أيّها النّمل. تقديم: محمد خالد. إنتاج: قناة الشارقة.2008/05/24. https://www.youtube.com/watch?v=06iiUQdyuDo

سليمان، فاضل: حلقة يوتيوب من مقاطع حظر التّجول تدبر سورة النّمل الآيات 45-53. إنتاج: BridgesFoundation 2020/07/18. رابط الحلقة: https://2u.pw/HJWIWF

الشّـــافعي، حســـن: محاضـــرة العقـــل والقـــرآن. برنـــامج: الشّـــريعة والحيـــاة. رابـــط الحلقـــة: https://www.youtube.com/watch?v=Oh0M02Xs7Sc&t=529s

ابـن عبـد السّـلام، عبـد الله. "علـم النّفـس الإيجابـي". مجلـة دراسـات نفسيّـة وتربويّـة، مـج13، العـدد1، مسترجع من http//:search.mandumah.com/Record/1

القرضاوي، يوسف: محاضرة العقلانية في الإسلام. برنامج: الشّريعة والحياة: https://2u.pw/RcFVIN

نوفل، أحمد: محاضرة العقل القرآني. برنامج: الشّريعة والحياة. رابط الحلقة: https://2u.pw/OG0nfZ

An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

THE ROLE OF THE ISLAMIC CREED IN PERSONALITY BUILDING IN LIGHT OF SURAT AN-NAML

By
Khadegah Remawi

Supervisor
Dr. Amer Jodallah

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Fundamentals of Religion (Isul Al-deen), Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus- Palestine.
2022

THE ROLE OF THE ISLAMIC CREED IN PERSONALITY BUILDING IN LIGHT OF SURAT AN-NAML

By
Khadegah Remawi
Supervisor
Dr. Amer Jodallah

Abstract

This study, as its title indicates, was an endeavour to understand the role of Islamic belief in personality building in light of Surat An-Naml. The study falls into three chapters. Chapter one introduced Surat An-Naml in light of the Islamic faith. Chapter two was devoted to the role of the Islamic faith in building the mental and emotional aspects of personality in the light of the sura. Chapter three dwelt on the role of positive belief in building a balanced character in light of the sura.

To achieve the aim of the study, the researcher used two approaches: the inductive and the analytical. She traced the features of the doctrinal approach in personality building in light of sura and then made an analysis and interpretation, and then she linked these features with reality.

One important finding in this study is that the Islamic faith has a role in building the mental side of faith in the personality by urging the making of a reflection on the manifestations of Almighty Allah's power and oneness, and on the fate of the deniers in light of the sura. Another important finding is that the Islamic faith has a role in building the emotional "heart" side of the personality through the realization of servitude to Almighty Allah alone, and the achievement of an attitude of gratitude, tranquility and trust in Him. Finally, Islamic faith has a role in building a positive and balanced personality through the prophets' stories, urging action and belief in the day of judgment and afterlife in the light of the sura.

Keywords: Belief, personality, mental aspect, spiritual aspect. positivity.